٤٢ صفحات من تاريخ مصر



# سلار

# الأمير التترى المسلم

## نائب السلطنه المملوكيه في مصر

(٦٦٠-٧١٠هـ / ١٢٦٠-١٣١٠م)



د. محمد عبدالغنى الأشقر

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

**هذه السلسلة تضم :**

١ - فتح العرب لمصر
٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
٣ - الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي
٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
٧ - ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
٨ - تاريخ مصر في عهد الخديري إسماعيل باشا (مجلد أول)
٩ - تاريخ مصرفي عهد الخديري إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
١٠ - فتوح مصر وأخبارها
١١ - تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم
١٢ - قوانين الدواوين
١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
١٤ - الحكم المصري في الشام
١٥ - تاريخ الخديري محمد باشا توفيق
١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول
١٧ - مذكراتي
١٨ - الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم
١٩ - وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر البطاركة
٢٠ - الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
٢١ - الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع البحر الأبيض (النيل الأبيض)
٢٢ - السلطان قلاوون (تاريخه ـ أحوال مصر في عهده ـ منشآته المعمارية)
٢٣ - صفوة العصر
٢٤ - المماليك في مصر
٢٥ - تاريخ دولة المماليك في مصر
٢٦ - سلاطين بني عثمان
٢٧ - محمود فهمي النقراشي
٢٨ - دور القصر في الحياة السياسية
٢٩ - مذكرات اللورد كيللرن
٣٠ - عادات المصريين
٣١ - خنقاوات الصوفية ج١
٣٢ - خنقاوات الصوفية ج٢
٣٣ - تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملو[ك] والسلاطين
٣٤ - تاريخ عمرو بن العاص
٣٥ - دور القبائل العربية في صعيد مصر
٣٦ - علاقات الفاطميين في مصر بدول المغر[ب]
٣٧ - عبد الرحمن الجبرتى ٥ أجزاء
٣٨ - مصر في العصر العثماني في القرن ١٦
٣٩ - خطط المقريزي ٣ أجزاء (محققة منقحة) في ٢٧٥٠ صفحة)
٤٠ - صفحات من تاريخ مصر (صليب باشا سامى)
٤١ - صفحات من تاريخ مصر (سيد مرعى)
٤٢ - سلار الأمير التترى المسلم

MADBOULI BOOKSHOP
6 Talat Harb SQ. Tel.: 5756421
مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١

(٤٢)
صفحات من تاريخ مصر

# سَلار

## الأمير التترى المسلم
## نائب السلطنة المملوكية فى مصر
## (٦٦٠ - ٧١٠هـ / ١٢٦٠ - ١٣١٠م)

الكتاب : سلار الأمير التترى المسلم

نائب السلطنة المملوكية فى مصر (٦٦٠ - ٧١٠هـ/ ١٢٦٠ - ١٣١٠م)

الكاتب : دكتور محمد عبدالغنى الأشقر

الطبعة: الأولى ـ ٢٠٠٠

رقم الإيداع: ٩٩/١٤١٣٠

الترقيم الدولى: 8 - 288 - 208 - 977

الناشر : مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب تليفون : ٥٧٥٦٤٢١/ فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤

لوحة الغلاف : محمد لطفى

الجمع التصويرى : سعيد أبو مسلم

(٤٢) صفحات من تاريخ مصر

# سَلار

## الأمير التترى المسلم
## نائب السلطنة المملوكية فى مصر
## (٦٦٠ - ٧١٠ هـ / ١٢٦٠ - ١٣١٠م)

دكتور محمد عبد الغنى الأشقر



الناشر
مدبولى
٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنى
من أهل المقابلة فى الدنيا

الأمير سلار

# إهداء

عـاهدت الله، أن أهدى كل مؤلف لى إلى صـاحب الفضل الأول.. إلى :

أستاذى، الأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالرازق أحمد أسـتـاذ التاريخ والحـضـارة الإسـلاميـة، ووكـيل الدراسات العليا والبحـوث، بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

## تقديم :

يعتقد العامة من الناس أن نهاية التتار كانت على يد السلطان قطز والأمير بيبرس في معركة «عين جالوت» سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م إلا أن المهتمين بالتاريخ الإسلامي وخاصة الباحثين منهم يعلمون أن جهود السلطان قطز والأمير بيبرس ما كانت إلا جولة استمرت بعدها عدة جولات ما بين انكسار وانتصار بالنسبة للمسلمين والتتار فقد كانت معركة عين جالوت هي بداية النهاية للتتار، حيث كانت عين جالوت أول هزيمة لهم في التاريخ بعدها كسر هذا الحاجز النفسي بأن التتار جيش لا يقهر. فخرج بعد ذلك السلطان بيبرس للشام وتصدى لهم مرات عديدة. ولكن لم يتم له استئصال شأفتهم. ولم يتم ذلك إلا بعد ظهور الأمير سلار على مسرح الأحداث، عندما تولى نيابة السلطنة لكل من السلطان الناصر محمد بن قلاوون والسلطان بيبرس الجاشنكير.

فمما لا شك فيه أن البحث أزال الغبار عن فارس من فرسان الإسلام في عصر سلاطين المماليك، هذا الفارس الذي كان يدير دفة البلاد في الخارج والداخل واستطاع أن يتصدى للتتار؛ بل كان عامل مؤثرا في أن يعيد غازان خان التتار حساباته ويعلن

إسلامه، ويدخل التتار الإسلام ويعلن غازان الإسلام الدين الرسمى لدولته ويتسمى بالسلطان محمود ملك التتار. كما استطاع هذا الفارس أن يكسر شوكة الأعراب الذين كانوا يثورون على الدولة ويستأصل شأفتهم نهائيا. كذلك كان هذا الفارس يعين ويعزل رجال الدولة من الأمراء وغيرهم من دون الأمراء والوزراء والقضاه والنواب ورجال الدين إلى جانب ذلك، كان هذا الفارس على درجة كبيرة من الحس والتذوق الفنى، نلمسه فى آثاره الحضارية فى مشكاة سلار وخانقاته ومساهمته فى ترميم ما تشعث من جامع الأزهر وجامع عمرو بن العاص، نتيجة لما حدث بسبب الزلزال الذى تعرضت له مصر فى ذى الحجة سنة ٧٠٢ هـ/ أغسطس ١٣٠٣م، كذلك كان الأمير سلار أنيق الذات فى ملبسه وأدخل تغيرات على الزى المملوكى استمر ينسب إليه حتى نهاية دولة المماليك فى سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م.

ولقد بلغ هذا الأمير من العز والثروة والغنى والسلطة والنفوذ والجاه ما لا يصل إلى هذه المرتبة أحد من الأمراء فى أى عصر من العصور من قبل ولا بعد، إلا أنها سخرية القدر، لقد كانت نهايته مؤلمة محزنة فيذكر بعض المؤرخين بشأن نهايته.

إن هذا الأمير بعد أن بلغ من سعادة الدنيا ما لا يوصف..

مات البائس يتحسر على الخبز اليابس

تقديم:

الأستاذ الدكتور/أحمد عبدالرازق أحمد

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

ووكيل الدراسات العليا والبحوث

بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

# فهرس المحتويات

# تمهيد

يزخر التراث الإسلامى بسير السلاطين دون الأمراء، ومن الظواهر الأساسية فى التاريخ أن كثيرا من الأمراء الذين لم ينحدروا من بيوت الملك والسلطنة ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه عن طريق الوراثة، امتاز تاريخهم فى أدواره الأولى بالغموض والإبهام، وتضارب الروايات حول اصلهم ونشأتهم، وليست هناك أية غرابة فى هذه الظاهرة التاريخية التى يصادفها دائما المشتغلون بالتاريخ، فإذا ولد طفل فى قصر، اهتم به المؤرخين منذ مولده، أما إذا كان مغمورا فإن الناس لا تشعر به ولا يتعرض له كاتب أو مؤرخ، حتى إذا ما أصاب نصيبا من الدنيا، حاول المؤرخين عندئذ أن يسدوا الثغرة التى أحاطت بمراحل حياته الأولى، وللمؤرخ ابن تغرى بردى عبارة يقولها عن أحد الأفراد، و«قد أضربنا عن شرح ما حدث له لأنه لم يكن من أعيان الناس لتشكر أفعاله أو تذم»[1]. الأمر الذى دفعنى إلى اختيار شخصية الأمير سلار لما لها من مكانة هامة ومؤثرة فى تاريخ الإسلام والمسلمين، وكان هذا ليس بالأمر الهين، فكان علينا أن نتتبع المعلومات المتناثرة بين أحشاء المصادر المعاصرة، لتتبع سيرته والتعرف على أصله

ونشأته التى تعكس لنا طبيعة العصر الذى نشأ وعاش فيه، وهو عصر سلاطين المماليك، ثم التعرض للمرحلة الثانية من حياته وهى مرحلة تقليده وظيفة نائب السلطنة وتطور نفوذه، وقد حرصت على إبراز دوره فى التصدى للتتار وكسر شوكة الأعراب، ثم التعرف على ثروته وآثاره الحضارية، كذلك حاولت سرد ملابسات نهايته، ثم أعقبت الدراسة بخاتمة تناولت فيها بطولة الأمير سلار الذى بذل قصارى جهده لخدمة الإسلام والمسلمين وكان لخروجه للتصدى للتتار وإلحاق الهزيمة النكراء بهم، صدى لدى غازان خان التتار، الذى ما لبث أن اعتنق الإسلام وأظهر العدل، وتسمى بالسلطان محمود، ملك العراق وخرسان وفارس والجزيرة والروم. إلا أن سخرية القدر المحتوم قضت على بطل عظيم من أبطال ذلك العصر، بل وكان دائما رجل الساعة لدولة المماليك فى بعض الأوقات التى تعرضت فيها الدولة للخطر فى الداخل والخارج[٢].

# الفصل الأول: أصله ونشأته

اتفقت أغلب المصادر على أن الأمير سلار، أصله من بلاد التتار الذين هم من أصل أويرتي[٣]. إلا أنه لم يرد في المصادر ذكر تاريخ مولده، وكل ما ورد بشأن المرحلة الأولى من حياته، هو أن أبوه كان أمير شكار أي أمير صيد[٤]، عند صاحب الروم، فلما واقع السلطان الظاهر بيبرس الروم والتتار، كان سلار وأخويه سمُك ولاجين، ممن أسر، فاشتراهم الأمير سيف الدين قلاوون الذي تولى السلطنة فيما بعد في سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م[٥]. ولم يرد في المصادر ذكر عن أخويه سمُك ولاجين إلا ما تصدق به بعض المؤرخين بين ثنايا سطورهم وهذا على عكس سلار الذي تروي لنا المصادر أن الأمير سيف الدين قلاوون أعطاه لابنه الأمير الملك الصالح علي الذي انعم عليه بأمرة عشرة، ثم أصبح الأمير سلار كبير أمراء الصالحية والظاهرية، ولما مات الملك الصالح علي، صار الأمير سلار من خواص ابنه الأمير موسى، وبعد وفاة الأمير موسى، أصبح سلار من خواص الأمير سيف الدين قلاوون الذي أعطاه لابنه الأمير الأشرف خليل، فحظي عنده بمنزلة عظيمة[٦]. ومع ذلك فقد تعرفنا على تاريخ ميلاده، مما رواه ابن

حجر وابن شاكر الكتبي، بشأن موته، من أنه مات في حدود الخمسين، بل لم يبلغها، في أوائل الكهولة ولعله ما بلغ الكهولة، لذلك نرجح أنه ولد بالتقريب في سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٠م، ذلك لأن كل من ابن حجر وابن شاكر ذكرا، أنه توفى في جمادى الأولى سنة ١٧١٠ هـ/ أكتوبر ١٣١٠م(٧). وإذا كان تاريخ العظماء قدوة، فسيرة الأمير سلار، هي سيرة لشخصية عظيمة، إذ ينقل المؤرخون عنه، أنه كان أعجوبة عصره في الكرم والبر والتصدق على الفقراء، فقد روى أنه أعطى لأحد الأشخاص، الف دينار وأربعة آلاف أردب وأعطى لآخر أربعة آلاف أردب وألف رأس غنم، وكان كبير العقل مشهور بالشجاعة مهيبا، فارسا، لا يتحرك من على ظهر فرسه إذا ركبه، وكان إذا لعب الكرة لا يرى في ثيابه عرق، وكان ظريفا، أنيق الذات في ملبسه، واقترح أشياء في الملبس، وهي إليه منسوبة، وكذلك في المناديل وقماش الخيل وآلة الحرب، وكان تاركا للشر وقليل الظلم، إلا أنه كان ينطوي على دهاء وخبرة بالأمور، وفيه دين بالجملة، ولذا كان يتميز بصفات حميدة على عكس باقي المماليك عموما(٨). ولدينا وصف للأمير سلار، بأنه كان أسمر، لطيف القد، لحيته في حنكه، سوداء، لم يكن بها غير شعيرات قليلة، لذلك عبر الناس عن كراهيتهم للسلطان بيبرس الجاشنكير، أثناء عزل الناصر محمد بن قلاوون، بأغنية كانوا يرددونها تقول: سلطننا ركين، يقصدون بيبرس الجاشنكير، لأنه لقبه كان ركن الدين ونائبنا دقين، يقصدون الأمير سلار، فلم يكن في لحيته غير شعيرات قليلة(٩). كذلك كان سلار، سهل الخدين، وليس بالطويل، ذا هيئة، وقد كان سلار أسطورة عصره في إدارة شئون البلاد وكسر شوكة الأعراب في الداخل والتصدي لجحافل التتار في الخارج، ولا زالت آثاره الحضارية باقية وشاهد عيان على ما وصل إليه سلار من مكانة عظيمة، لذا بقي التقدير لسيرته على مدى القرون، حقا أن حظه وقدره كان ضده، فبعد أن نال من سعادة الدنيا ما لا يوصف، مات البائس يتحسر على الخبز اليابس(١٠). وإن كان سوء الحظ قد يصيب غالبا الرجال الذين هم على مبادئ وخلق، وكأنها سخرية من القدر، فهو لم يحاول أن يهرب من قدره، بل أسرع إليه قبل أن يأتيه، وبذل غاية الجهد دون تقصير في سبيل إرضاء سيده السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عندما طلب منه الحضور إليه، فلبى طلب السلطان في الحضور إليه وهو يعلم أن في ذلك نهايته، وكان بمقدوره أن يهرب إلى بلاد التتار لينجو بحياته، ولكنه حضر إلى سيده الناصر ليثبت له، أنه أبعد ما يكون عن الخيانة والمؤامرات، وقال لنفسه: أنا فداء حدوث الفتنة بين المسلمين، والله يفعل ما يشاء(١١). أما عن المكان الذي

نشأ فيه سلار، فأننا لا نعرف إلا أنه من بلاد التتار، التى كانت تتضمن وقتها العراق وخراسان، وفارس والجزيرة والروم، وأنه كان من المماليك الذين يشترون وهم صغار السن ويسمون، الجلبان أو إجلاب أو مشتروات، وقد اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون، كما اشترى أخويه سمك ولاجين قبل أن يتولى السلطنة. كما أننا لا نعرف إذا كان الأمير سيف الدين قلاوون، اشتراهم من أسواق مصر أو خارجها[١٢]. وكان سلار مثل بقية المماليك الواردين إلى مصر لا نعرف الكثير عنهم إلا إذا وصلوا إلى مراكز مرموقة، لذلك فمنذ تولى سلار نيابة السلطنة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون فى ٦ جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ/ ١٠ فبراير ١٢٩٨م، ومؤرخى عصره ينقلون عن سيرته معلومات كثيرة تتضمن جزئيات وتفاصيل وافية يوم بيوم[١٣]. ويمكننا أن نتوصل إلى بعض الحقائق عن الأمير سلار فى ضوء الألقاب التى كانت تطلق عليه، شأنه فى ذلك شأن غيره من أمراء المماليك فى ذلك العصر، فهو «الأمير سيف الدين سلار بن عبدالله، التترى، الصالحى، المنصورى، الناصرى، العالى، الكفيلى، السيفى، نائب السلطنة المعظمة وكفيل الممالك الشريفة بالديار المصرية والشامية[١٤]. ولقب سيف الدين يسمى فى مصطلح الألقاب بلقب التعريف الخاص أو اللقب المضاف إلى الدين. وكان اتخاذ هذا اللقب شائعا بين أفراد الطبقة العسكرية، وذلك لاشتماله على لفظة سيف، وكان سلار فعلا من أفراد هذه الطبقة. وقد ورد هذا اللقب فى نص منقوش على مشكاة صنعت برسمة، لوحة رقم (١)، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٢٨١٠[١٥]. وفى نص آخر منقوش فوق مدفنه[١٦]. وفى كتابة أثرية كانت منقوشة فوق المحراب الذى أضافه سلار إلى الواجهة الغربية لجامع عمرو بن العاص، لوحة رقم (٢)[١٧]. أما سلار اسمه، فيقال إنه لفظ فارسى ومعناه «المقدم»[١٨] وعبارة ابن عبدالله، تشير إلى أن سلار، كان مجهول الأب، رغم أننا ذكرنا أن أباه كان أمير شكار «عند صاحب الروم» وكان هذا هو شأن معظم المماليك، لأنهم كان يسترقون أطفالا ويباعون بعيدا عن أوطانهم الأولى، ولذلك كان يقال للواحد من هؤلاء «ابن عبدالله» فإن أباه لا بد وأن يكون عبدا لله[١٩]. والتترى، نسبة إلى التتار، والصالحى نسبة إلى الصالح على بن المنصور قلاوون، والمنصورى نسبة إلى المنصور قلاوون، والناصرى نسبة إلى الناصر محمد بن قلاوون والعالى، وهو من العلاَ بالمد وهو الشرف، يقال علِى بكسر اللام بعلى، وبفتحها إذا أشرف[٢٠]، وأطلق هذا اللقب على الأمير سلار، حيث يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بلوح من الخشب، تحت رقم، ٨٥١ عليه كتابة

نسخية مؤرخة ما بين جمادى الأولى ورجب سنة ٧٠١ هـ/ يناير - مارس ١٣٠٢م، تشير إلى إنشاء مكان غير معروف نجد عليه اسم سلار مصحوبًا بلقب العالي، لوحة رقم (٢)(٢١). أما لقب الكفيلي فهو الذى كان يعبر عن صاحب النيابة العظمى، أى نائب الحضرة بالقاهرة. والنائب الكافل تعريفه، كافل الممالك الشريفة الإسلامية، ويقال فيه أن يقلد نيابة السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة مصرًا وشامًا وسائر البلاد الإسلامية، لأنه يتكفل بتصريف أمور الدولة بالقاهرة(٢٢).

والكفيلى أعلى من الكافل لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر فى علم النحو أما عن الكافلى الكافل، فهو الذى يكفل الإنسان ويعول، وقد ذكر العمرى أنه مختص بنائب سلطان أو وزير كبير وأضاف فى دستور أقرانه، لا يكتب به لغيرهما، وكان يستعمل أيضًا مضافًا إليه ياء النسب، فيقال الكافلي. والكافيلى من الألقاب الدالة على الوضع دلالة خاصة، فقد كان يرد ضمن سلسلة الألقاب ليشير إلى نوع الوظيفة، أو الطبقة التى ينتمى إليها الملقب، ومن هنا جعل كتاب الإنشاء مكانة فى سلسلة الألقاب، قبل لقب التعريف الخاص، أي قبل اللقب المضاف إليه «الدين» وذلك فى حالة، ما إذا كان المكتوب إليه نائب السلطنة، ومنه قوله تعالى «وكفلها زكريا»(٢٣) ولقب بذلك لأنه يكفل الرعية ويعولهم(٢٤). أما لقب السيفى، فقد وجد على لوح من الخشب، بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم، ٨٥١، مصحوبًا باسم سلار، لوحة رقم (٣)(٢٥). وفى الواقع أن سيرة سلار، هى تدوين لخواص عصر عجيب، هو عصر سلاطين المماليك الذين كانوا من الرقيق، ولا عجب فإنهم هم أنفسهم اتخذو المماليك وجعلوهم جنودًا ورجال سياسة وحرب، فقد كان معظم رجال الدولة والجيش فى هذا العصر الذى نشأ فيه الأمير سلار، من المماليك الأرقاء الذين كانوا يشترون بالمال من أسواق الرقيق. وكان أغلبهم يجلب إلى مصر من شبه جزيرة القرم ومن بلاد القوقاز ومن فارس والتركستان ومن بلاد ما وراء النهر، بل كان بعضهم أصلاً من ضفاف بحر البلطيق ومن حوض الدانوب، وكان تجار الرقيق عادة لا يجلبون إلى مصر فى أوائل العصر المملوكي الذى نشأ فيه سلار، إلا المماليك صغار السن من غير المسلمين، لأن الرق كان لا يجرى على مسلم، لكى ينشأوا في مصر ويتعلموا لغتها ويألفوا جوها ويتعرفوا على أرضها ويتطبعوا بطباع أهلها(٢٦). ونحن نسمع عن أسواقهم فى القاهرة مثل خان مسرور، وربما كان يشرف على هذه الأسواق تجار يسمى الواحد منهم تاجر المماليك أو معلم تجار المماليك وربما كان يعاونه «دلال

المماليك» الذى يبحث عنهم(٢٧). وكان هؤلاء المماليك الصغار السن، يسمون، جلبان أو أجلاب أو مشتروات، وبعد أن يشتروا من أسواق الرقيق يوضعون فى أماكن خاصة، تعرف بالطباق أو الأطباق(٢٨) - مفردها طبقة أو طبق - وهى المدارس العسكرية أو بتعبير العصرالذى نعيش فيه «ثكنات»، كل طبقة تشتمل على عدة مساكن، تتسع لألف مملوك، وتوجد الطباق فى أماكن متفرقة فى القاهرة وخارجها، لاسيما فى القلعة، حتى بلغ عددها أثنى عشر طبقًا أو أكثر، وكان لهذا الطباق أسماء مختلفة ذكرها المؤرخون مثل طبقة الخازاندار وطبقة الأربعين والطبقة البرانية، وكانوا ينزلون فى هذه الطوابق، كل مع جنسه، ويوضعون تحت رعاية موظفين يعنون بجميع شئونهم، وكان المماليك الذين يدخلون الطباق، يعرفون باسم، مماليك الطباق والكتابية أو كتابية(٣٠) مفردها كتابى أو كتابى - لأنهم يسكنون الطباق ليتعلموا الكتابة والحرب. وقد كان محرمًا على المماليك فى هذه المرحلة من حياتهم أن ينزلوا من القلعة إلى المدينة أو يختلطوا بالشعب أو أن يحاولوا الزواج من بناته، وإن كان السلطان خليل بن قلاوون أجاز للمماليك النزول من القلعة فى النهار على ألا يبيتوا إلا بها(٣١). وإلى جانب هذا التعليم النظرى، كان المماليك يدربون على بعض التمرينات البدنية الخفيفة التى تتناسب معهم. فإذا ما وصلوا إلى سن البلوغ بدأت مرحلة جديدة فى تعليمهم تمتاز بنوع من التربية الجسمانية التى تتسم بالشدة، إذ كانوا يقومون بتمرينات بدنية فيها شىء من العنف، ويتعلموا أنواع الحرب من ضرب السيف، ورمى السهم والنشاب - وهذه الأخيرة سهام من الخشب - سيما لعب الرمح، أو ما يسمى قنطرى وقنطارية(٣٢). وهو خشب الرمح، وذلك عن طريق الطعان(٣٣). واحتراف فن الدبوس وهى أعمدة لها رؤوس مضرسة يقاتل بها، وكانوا يمرنون على القذف بالطوق وركوب الخيل والمبارزة وجميع أصول الفروسية وأدابها، وقد كان المعلمون فى هذا الدور من حياة المماليك ممن اشتهروا بإجادة فنون الفروسية(٣٤)، ولم تكن مظاهر الفروسية عند المماليك الشجاعة فقط، وإنما كانت لها مظاهر متعددة، مثل الكر والفر والمناورة والمطاردة، ولهذه الأخيرة ستة وعشرون وجهًا، ومعرفة استخدام أنواع السلاح، مثل: الرمح الذى له إثنتا عشرة طعنة، والحربة وتستخدم فى شكل ثمان وخمسين حركة وإن كان السيف هو أفضل الآلات، فهو بمثابة الأسد بين الوحوش(٣٥). لذلك كان لمماليك الطباق اصطبل أو (اسطبل) خاص بهم(٣٦)، فقد اهتم المماليك بكرائم الخيل، ويبثون فى طلبها من كل فج(٣٧)، لاسيما وانهم اعتبروا ركوبها والاهتمام بها من السنة النبوية بسبب أن النبى (صلى الله عليه وسلم) مدحها

وأن أصلها عربي[٣٨]. فكان المماليك فى الطباق يقيمون مباريات الفروسية ،وذلك فى ميادين خصصت لها، حيث ظهرت أنواع من الفروسية فيها السباق بالخيل بدون سرج أو لعب الكرة من على ظهور الخيل، بضربها بالصواجان[٣٩]. وهى العصا، أو حتى لعبة اسمها القبق أو سمى القباق أو رمى القبق[٤٠]. والقبق اسم تركى لنبات القرعة الصلبة، وإن أطلق فى العربية على الهدف الذى استعمل فى الرماية، وتكون على شكل قرعة من ذهب أو فضة، ويضعون فيها طيرًا مثل الحمام، ويرمونها بالنشاب، أو من على ظهور الخيل بحيث خصص لها ميدان اسمه «ميدان القبق»[٤١]. وكان الذى يشرف على تعليم المماليك فى الطباق متخصصون، حيث كان الملوك يحترمهم جدًا. فمنهم الفقيه أو المؤدب[٤٢]. الذى كان بالإضافة إلى تعليمهم الكتابة وحفظ جزءًا من القرآن وآداب الشريعة والعبادات والخط وغيرها يعودهم على التمسك بالدين وملازمة الصلوات والأذكار. فإذا ما تقدم الملوك فى دراسته أخذ الفقيه يعلمه شيئًا من الفقه[٤٣]. وأيضًا خدام الطباق أو الطواشى[٤٤] أو الأغى (الأغا)[٤٥]، جمعها أغاوات الذين يشرفون على تربيتهم. ويبدو أن الإشراف العام على الطباق يكون لشخص يسمى، مقدم الطباق، من حقه أن يعاقب منهم غير الطائعين، وله هيبة قوية على المماليك. ولكن يبدو أن الإشراف العام على الأطباق كان لأمير من أمراء المماليك هو مقدم المماليك الذى كان له نائب، فكان مقدمو الطباق مسئولين أمامه[٤٦]. وكان لتعليم المماليك فى الطباق نظام دقيق مرتب. فقد كان محرمًا على المماليك فى هذه المرحلةمن حياتهم، إن يخرجوامن الطباق إطلاقًا لاسيما ليلاً. وكان عليهم أن يذهبوا إلى الحمام يومًا فى الأسبوع. ويكون أكلهم اللحم والأطعمة والفواكة والحلوى والفول المسلوق، وغير ذلك، وكانوا يتسلمون كسوات فاخرة، وقد يأخذون مرتبًا قليلاً، قد يصل إلى ثلاثة أو عشرة دنانير فى الشهر[٤٧]. وكانوا يؤاخذون بشدة فى حركاتهم وسكناتهم، فإذا اقترف أحدهم ذنبًا أو خرج عن النظام، قوبل بعقوبة شديدة. وكان السلطان يذهب لتفقد أحوالهم من طعام وغيره[٤٨]. وكانت الدراسة فى الطباق بين أربعة أو خمسة عشر شهرًا، وإن كانت أحيانًا تمتد إلى سنين عدة[٤٩]. فإذا انتهت الدراسة، أعتق الملوك ويكون الإعتاق بالجملة، ويقام له احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء، وذلك بناء على شهادة تسمى إعتاق أو عتاقة[٥٠]. فيسلم الملوك سلاحًا وفرسًا ولباسًا خاصًا قماشًا وإقطاعًا يبقى له مدى الحياة، وغلمانًا لخدمته وحينئذ يسمى عتيقًا أو معتوقًا - جمعها معاتيق - ومعتقة يسمى أستاذه[٥١]. أما رفاقه المتخرجون معه، فيسمون

خشداشية، مفردها خشداش(٥٢). وكان المماليك المتخرجون يقسمون أقسامًا، لكل جماعة منهم: باش أو نقيب والبعض منهم يصلون إلى الإمارة، وهى مرتبة تهيىء للوظائف الكبرى الحاكمة فى القصر أو الجيش أو حتى السلطنة نفسها، وكان من المفروض أن المملوك لا يحصل على الإمارة، إلا بعد أن ينتقل من مرتبة إلى مرتبة(٥٣). فلا يليها إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج بروح الإسلام، وبرع فى الفنون الحربية. بحيث كان منهم من يصير من كثرة علمه فى مرتبة فقيه أو أديب أو حاسب، لذلك كانوا سادة يديرون الممالك، وقادة يجاهدون فى سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ويودعون من جار أو تعدى(٥٤). وعلى العكس من ذلك أن كل ما أجملناه عن نشأة المماليك، إنما ينصرف إلى ما كان متبعًا من أوائل حكم المماليك، تلك الفترة التى نشأ فيها الأمير سلار، أما فيما بعد ذلك وقرب نهاية دولة المماليك فإنه يلاحظ، أن هذه التقاليد والقواعد التى كانت متبعة فى تنشئتهم، قد امتدت إليها عوامل الإنحلال، فلم تعد العناية بتعليمهم وتربيتهم أو تثقيفهم، كما كانت من قبل، بل أصبح الوصول إلى مرتبة الأمير يكون عن طريق أن يكون المملوك محسوبًا للسلطان(٥٥). وقد كانت لغة المماليك هى اللغة التركية(٥٦) حتى ولو لم يكونوا تركًا، بحكم أن معظمهم كان من ترك وسط آسيا، ومع ذلك، فكثير من المماليك اتقن العربية بحكم تعليمهم وإسلامهم وأصبح فصيح اللسان بها ويتكلم اللغة الدارجة المصرية(٥٧). ومما لاشك فيه أن المماليك كانوا يعيشون بمعزل عن الشعب المصرى، ولم يندمجوا فيه اندماجًا تامًا، بل حرصوا على أن يجعلوا لأنفسهم شخصية خاصة متميزة، تحتفظ بقطاع خاص من قطاعات الدولة، فقصروا أعمال الجندية عليهم واشترطوا إلا ينخرط فى سلكها إلا المماليك(٥٨). كل هذا صحيح ولا ريب فيه، ولكن لابد أن نعترف ونقر إلى أنهم كانوا حماة مصر والشام، فهم الذين هزموا الصليبيين وأوقفوا زحف التتار وأنزلوا بهم الهزيمة النكراء، فهم بحق، خلاصة القول، كانوا داوية الإسلام.

# الفصل الثانى: تقليده النيابة وتطور نفوذه

كانت المرحلة الثانية من حياة الأمير سلار، هى مرحلة ازدياد نفوذه وعلو جاهه وقوة سطوته وزياد ثروته، منذ توليه وظيفة نائب السلطنة، فمع أن الأمير سلار وصل الى هذه الوظيفة على أساس انه من محاسيب السلطان، فإننا لا ننكر ان ذلك راجع أيضًا إلى كفاءته، إذ أن الكفاءة كانت هى الاعتبار الأول فى سبيل ترقي المملوك إلى المناصب الكبرى وذلك فى الفترة الأولى من حكم المماليك، أعنى الفترة التى عاش فيها الأمير سلار، هذا بالإضافة إلى أن الأمير سلار كان من الجنس التترى الذى كان يعتبر وقت ذاك أقل مكانة من المماليك الذين كانوا من بلاد القبجاق بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى تعصب هذه الفئة ضد جميع العناصر الدخيلة عليهم، ولذلك لم ينجح أحد من الجنس التترى فى الوصول إلى المناصب العليا طوال فترة حكم المماليك إلا السلطان كتبغا الذى عزل من السلطنة بسبب ميله لبنى جنسه من التتار، والأمير سلار. وذلك نتيجة تضييق الخناق على المماليك التى كانت تنتمى إلى الجنس التترى[٥٩]. ولو تتبعنا سيرة الأمير سلار لوجدنا أنه تنقل فى عدة وظائف. فقد أنعم عليه الصالح على بن السلطان

المنصور قلاوون. برتبة أمير عشرة، ثم تنقل فى عدة وظائف أخرى عند الأشرف خليل بن قلاوون. كما كان صديق لحسام الدين لاجين. وكان على راس جماعة الأمراء الذين اشترطوا على لاجين شروطًا عندما اراد ان يتسلطن، فإلتزامها لاجين، منها أنه يكون كأحدهم ولا ينفرد بأى منهم ولا يسلط يد أحد من مماليكه فيهم(٦٠). فلما تسلطن لاجين في سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، أرسل الأمير سلار على البريد من العوجاء ببلاد الشام إلى قلعة الجبل بالقاهرة ليحلف من بها من الأمراء على سلطنة لاجين، فقام سلار فى أمره قياما حسنًا فشكره لاجين على ذلك واكرمه واحترمه، وأنعم عليه بوظيفة الأستادار، ثم كلفه فى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، بأن يتوجه إلى الكرك لإحضار ما بها من الأموال، فقام فى أمره أحسن قيام، ايضًا(٦١). ومن أجل أن يدعم لاجين مركزه فى السلطنة، امر أن يتوجه الناصر محمد بن قلاوون السلطان الشرعى القاصر إلى الكرك بحجة أنه سوف يحفظ له الملك والسلطان، حتى يشتد عوده وتصقله التجارب فى الكرك وأنه قائم بالسلطنة فى مصر كنائب للناصر حتى يكبر ويسلمه الملك لذلك خرج الأمير سلار فى أواخر صفر سنة ٦٩٧ هـ/ نوفمبر ١٢٩٧م. فى خدمة السلطان الناصر محمد، حتى وصل إلى الكرك فى نفس السنة، فقام فى خدمته خير قيام، فأنعم عليه لاجين بوظيفة أمير مجلس(٦٢). وظل الأمير سلار صديقا للسلطان لاجين ونائبه منكوتمر حتى تآمر الأمراء على السلطان ونائبه وقتلوهما فى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م، فإجتمع الأمراء بالقلعة والتفت الأمراء البرجية حول الأمير بيبرس الجاشنكير، والتفت الأمراء الصالحية والمنصورية حول الأمير سلار واتفق الأمراء على تدبير أمور المملكة وصاروا يجلسون جميعًا، ويكتب كل منهم علامته على الكتب والمراسيم، وكان أول من يكتب الأمير سلار، ومن بعده الأمير بيبرس الجاشنكير ثم الأمير سيف الدين كرجى والأمير جمال الدين الأفرم والأمير سيف الدين بكتمر والأمير جمال الدين عبدالله(٦٣). ثم اتفق هؤلاء الأمراء برئاسة الأمير سلار على احضار الناصر محمد من الكرك، فندب الأمراء عنهم الأمير سلار الذى سار إلى الكرك واحضر الناصر محمد، وركن إلى عقله، ولما تمت سلطنة الناصر محمد، وكان يومئذ قاصرًا لم يبلغ الرابعة عشر من عمره، استناب الأمير سلار، وقربه إليه وقدمه على الجميع، فخضع له الأمراء جميعًا، وغلب سلار على الأمور وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل فى يوم الموكب عند السلطان القاصر الناصر محمد، ويقررون الأمور مع الأمير سلار والأمير بيبرس الجاشنكير أتا بك العسكر (القائد العام للجيش)، يومئذ الذى شارك سلار فى الحكم، فكانت تصدر

الأحوال عنهما، وشرع كل منهما فى أن يقوى جانبه، فقويت شوكة البرجية بديار مصر وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمرّ منهم عدة وصار فى قبالته الأمير سلار ومعه الصالحية والمنصورية، وصار الأمير بيبرس إذا أمرّ أحد من البرجية وقفت أصحاب الأمير سلار وطلبت منه أن يؤمّر واحدًا من الأمراء الصالحية أو المنصورية(٦٤). والحق أنه، منذ أن تولى الأمير سلار نيابة السلطنة للسلطان الناصر محمد فى ٦ جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ/ ١٠ فبراير ١٢٩٨. فإنه أظهر تفانيًا ومقدرة فائقة، فقد اكتسب خبرة لم تتهيأ لأى نائب سلطنة سابق عليه أو لاحق له، مما جعله على علم بكل تفاصيل الأمور فى وظائف القصر وجهاز الدولة فى الداخل والخارج، فقد كان بحق، كافل الممالك الاسلامية الشريفة فى مصر والشام، تلك الوظيفة التى كانت تسمى بالنيابة العظمى، أى نيابة الحضرة بالقاهرة، وكانت أعلى درجات النيابة، وكان صاحبها موجودًا بوجود السلطان بمصر، وكانت هذه الوظيفة فى المرتبة الأولى من أرباب الوظائف بالحضرة ضمن أرباب السيوف، فهى أولى الوظائف التى يتولاها عسكريون بحضرة السلطان حسبما ورد فى صبح الأعشى(٦٥). كما وضعها صاحب المقصد الرفيع، على رأس أرباب الوظائف بالقاهرة، ومتوليها من الأمراء المقدمين، وهم أكبر أمراء المئين. ويتولاها أوسع الأمراء جاهًا وأشدهم دهاء وأفضلهم ذكاء وأكثرهم حنكة ودارية(٦٦). وقد يعين فى وظيفته خوفًا منه أو ترضية له، وكثيرًا ما ترشح النيابة شاغلها لتولى السلطنة، فهو أمير كبير على رأس رجال البلاط فى الدولة(٦٧). ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل، أو نائب السلطنة، أو يسمى أيضًا بالكفيل، أو نائب الكفيل أو كافل المملكة أو بالكافل أو كافل الممالك الاسلامية الشريفة تميزًا له وإبانة عن عظيم محله، أو حتى نائب الحضرة، فإذا أناب فى الغيبة فلا يعبر عنه بالكافل، وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم فى التقاليد والتواقيع والمناشير، وتنفيذ القوانين وغير ذلك من هذا النوع على كل ما يعلم عنه السلطان وبقية النواب لا يعلم الرجل منهم إلا ما يتعلق بخاصة نيابته(٦٨). وهى رتبة لا يخفى ما فيها له من التميز، ويكتب فى تعريفه نائب السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة الاسلامية، وعند تقليده فى الثلثين(٦٩). يقلد بنيابة السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة مصرًا وشامًا وسائر البلاد أو الممالك الإسلامية، ويكتب فى لقبه الأميرى الأمرى، وجميع نواب الممالك فيما تكاتب فيه السلطان، ويراجعونه كما يراجع السلطان(٧٠). ويستخدم الجند من غير مشورة السلطان، ويعين الأمراء ويمنح القاب الإمارة ولكن بمشورة السلطان، ويعين أرباب

الوظائف الديوانيـة والدينيـة، والوظائف الجليلة كـالقـضـاء والوزارة وكـتـابة السـر، والجـيش، فـإنه يعـرض على السلطان من يصلح وقل إلا يجـاب فـيمن يعـينه، وله حق التولية والعزل فى هذه الوظائف، وتنفيذ أوامره كما تنفذ المراسيم السلطانية، وقد بينا فيما تقدم عن كبـر محله فهو وكيل عن السلطان، أو أنه سلطان صـغير، فـهو سلطان مـختصـر، بل هو السلطان الثـانى واليد العاملة المحـركة لشئون الدولة، وله التصرف المطلق فى كل أمر، ويشاوره كثير من أرباب الدولة ورؤسائها فى أمور إختصـاصـاتهم. وأحيانا تصدر القرارات بـاسم السلطان وأحيـانا أخرى يصدرهـا باسمه. وقد يشتد نفوذه حتى يغير على منصب الوزير، بل يطغى على نفوذ السلطان نفسه،[٧١] وكـــان عـادته أن يركب على رأس فـرق الجـيش فى أيام المواكب الرسـمـيـة تحف به الأمـراء. وكـانت العـادة أن تركب جـيوش مـصـر يـوم الاثنين والخـمـيس فى الموكب تحت القلعـة، فيسيرون هـناك من رأس الصـوة[٧٢]. إلى باب الـقـرافـة[٧٣]، ثم تقف العـسكر مع نـائب السلطنة وينادى على الخـيل بينـهم، وربما نودى على كـثـيـر من آلات الجند والخـيم والجـركـاوات[٧٤] والأسلحـة وربما نودى على كثير من الخفراء ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية بالإيوان بالقلعة، فقد كان ينزل الجميع فى خدمته[٧٥]. وإذا مـثل هذا النائب فى حضرة السلطان، وقف فى ركن الأيوان، فإذا إنقضت الخدمة، خرج إلى دار النيابة بالقلعة. والأمـراء مـعـه ويجلس جلوسًا عـامًا للناس، ويحـضـره أرباب الوظائف ويقف أمـامـه الحـجـاب، وكـانت للحـاجب مـشـورة تـارة للسلطان وتارة للنائب، وتقـرأ عليـه القصص، ثم يمد السـماط إلى الأمراء. كما يمد لهم السلطان فيأكلون وينصـرفون، وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصـورة، لم يكن السلطان يتصدى لقراءة القصص وسماع الشكاوى بنفسـه، بل يكتفى بالنائب لينظر فى المظالم. ويأمره فى ذلك بما يرى من كتابة مقال ونحـوه، ولكنه لا يستند بما يكتب عن الأبواب السلطانية بنفسـه بل يكتب بإشـارته ورتبته على ذلك، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك، فتكون له أبهة عظيمة[٧٦]. وكـــان يتولى رياسـة ديوان الجيش، وحسبنا دليـلا على ذلك مـا رواه العمرى بصدد هذا إذ يقـول «أمـا ديوان الجـيش فإنه لا يكون له خدمـة، ولا اجـتـمـاع إلا به وإلا اجـتمـاع لهم بالسلطان فى أمـر من الأمــور، وكـان من الأمـور المفـضـلة التى لابد من إحـاطة علم السلطان بها فـانه يعلمـه بها تارة بنفسـه وتارة بمن يرسله إليه»[٧٧]. «وإذا اقــتـضت الضرورة اخـتص هـذا النائب بإخـراج بعض الإقطاعـات دون بعض، فـيـخـرج الإقطاع الذى بميرته من غير مشورة السلطان خمسمائة دينار من غير زيادة، ويكون صـاحب

ديوان الجيش هو الملازم له. وناظر الجيش ملازم السلطان»[٧٨]. ورغم ما ذكره القلقشندى من أن نواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية فى جليل ولا حقير، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان[٧٩]. إلا أننا نستشف من المصادر أنه فى سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، قام الأمير سلار نائب سلطنة الناصر محمد بن قلاوون بتعيين نواب السلطنة بالشام[٨٠]. ومن وصية نائب السلطنة التى أوردها العمرى، يتبين لنا مدى السلطة الواسعة التى وضعت فى يد هذا النائب، وهذا يعنى ببساطة أنه ساعد السلطان الأيمن فى تصريف شئون الدولة التى تدخل فى دائرة نفوذه[٨١].

يتبين من العرض السابق أن الأمير سلار نائب السلطنة، كان الرجل الأول فى الدولة وذلك رغم وجود الأمير بيبرس الجاشنكير أتابك العسكر الذى تقاسم معه السلطة والحكم، حيث كان السلطان الناصر محمد لازال قاصرًا، وليس له من المملكة سوى الاسم فقط، ولا حول له ولا قوة مع النائب سلار وأتابك العسكر بيبرس، وقد فاقت كلمة سلار كل حد، وكان السلطان مع نائبه وأتابك عسكره كالمحجوز عليه، لا يتصرف فى أمور المملكة إلا باختيارهما[٨٢]. وعلى الرغم من إتاحة الفرصة للأمير سلار أكثر من مرة لأن يتولى السلطنة، فقد عرضها عليه الأمراء، إلا أنه رفض أن يتولى السلطنة، وقد امتنع غاية الامتناع عن قبول منصب السلطنة نهائيًا، رغم ضغط رجال الدولة عليه من الأمراء والقضاة ورجال الدين، وقد كان امتناع الأمير سلار عن تولى منصب السلطنة، راجع أولاً وقبل كل شىء إلى خوفه من غدر أمراء المماليك الذين اعتادوا العصيان، إذ أن خيانتهم للسلاطين وإنقلابهم عليهم، كانت سمة من سمات العصر المملوكى فى مصر والشام، فكان المتنافسون يدخلون بعضهم على بعض وهم يلبسون «الزرديات» تحت الثياب خوفًا من الغدر والخيانة أما المنتصر، فقد كان يفعل بالمهزوم ما يشاء من السجن والتعذيب والمصادرة والتشريد[٨٣]. وقد أتى طابع غدر المماليك من أن مبدأ الوراثة لم يكن يروق لديهم، حقًا فقد بذلت محاولات من قبل سلاطين المماليك فى أوائل حكمهم لوضع أسس للوراثة، مثل بيبرس وقلاوون، إلا أن الوراثة لم تمتد إلى أكثر من ابن السلطان، ونادرًا ما تصل إلى الحفيد، مثلما حدث فى أسرة السلطان قلاوون، الذى تولى من بعده ابنه الناصر محمد الذى تولى من بعده ثمانية من أولاده وأربعة من أحفاده، ومع ذلك فإن أمراء المماليك لم يتركوهم فى سلطنتهم مدة طويلة، وكان الأوصياء من أمراء المماليك على السلاطين الصغار، يتقاتلون على وصايتهم بدورهم، مما كان له أسوأ الأثر على أحوال البلاد فى الداخل

والخـــارج[٨٤]. وهذا يعنى ببساطة، أن الأمير سـلار، قد اكتفى بمنصب نائب السلطنة، ولم يتـولى السلطنة حتى وفـاته، ولكنه كان بمثـابة السلطان، فهـو المحرك الأول للدولة والمهيمن على كل شئونها وذلك رغم وجود الأمير بيبرس الجاشنكير اتابك العسكر الذى شارك سلار فى الحكم أثناء ما كان السلطان الناصر محمد قاصرًا، كما كان سلار أيضا هو الرجل الأول فى الدولة حتى بعد أن تولى الأمير بيبرس الجاشنكير السلطنة فى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م الذى أبقى على الأمير سلار فى النيابة وجعل ذلك شرطًا على تولى السلطنة[٨٥]. فتروى لنا المصادر أن الأمير سلار نائب السلطنة والأمير بيبرس الجاشنكير أتابك العسكر، كانا يجلسان فى يومى الخميس والاثنين، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار والأمير بيبرس، بجوار السلطان الناصر محمد، ويعرض الأمير سلار على السلطان ما يريده، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول: «السلطان قد رسم بكذا». فيمضى ذلك، ثم يخرج الجميع، فيجلس الأمير سلار وبيبرس، ويتصرفان فى سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان، وأكثر من ذلك أنهما منعا السلطان من كل ما يريد، حتى أنه لم يستطع الوصول إلى ما تشتهى نفسه من المأكل والمشرب، لقلة المرتب المخصص له، ولولا ما كان يحصل عليه من أملاك أبيه وأوقافه، لما وجد سبيلاً إلى بلوغ أغراضه[٨٦]. فذات مرة، أراد السلطان الناصر محمد أن يحتفل بميلاد ولده علىٌ، الذى رزق به من زوجته أردكين، وكان يرغب فى أن يستمر هذا الاحتفال سبعة أيام متوالية، ولكن الأميران سلار وبيبرس، لم يوافقا على ذلك وقررا الإكتفاء بيوم واحد فقط للإحتفال، مما جعل الوزير ابن الشيخى الذى كان يضيق الخناق على السلطان، كلما احتاج إلى شىء من المال، مستغلاً صغر سن السلطان - إن يتظاهر بتأثره لحالة السلطان، ليكسب وده، فى حالة إذا ما حدث صدام بينه وبين الأميران سلار وبيبرس حيث كان يخشى على نفسه من قوة بطشهما وبئسهما. فأسرع ابن الشيخى وأمر أحد رجاله أن يخبر السلطان أنه (أى ابن الشيخى) سوف يحضر إليه غدًا ومعه ألفى دينار ليشترى بها ما يريده، ففرح السلطان بهذا الخبر، وترقب حضور ابن الشيخى على أحرى من الجمر، إلى أن جاء ابن الشيخى وقدم له المال الذى وعده به، فإنشرح صدر السلطان الناصر محمد وانطلق لسانه بالشكر لابن الشيخى وبالشكوى من الأميران سلار وبيبرس لتضيقهما عليه فى كل شىء، فهون عليه ابن الشيخى الأمر وذكره بأن ما آل الأمر كله إليه وما باليد حيله، وأخذ يقوى عزيمته ويشجعه بقوله أنه لن يصعب عليه أن يستخلص حقوقه

من هذان الأميران، ولو أدى الأمر إلى استعمال العنف والقوة[٨٧]. إلا أن السلطان الناصر محمد كان يجهل تمامًا أن ابن الشيخي كان يأخذ ماله ولا يعنيه سوى مصلحته، فأخذ السلطان يتحين الفرصة للتخلص من كل من نائبه سلار وأتابك عسكره بيبرس، بسبب التضيق عليه، فهو لم يعد أكثر من دمية في يد هذان الأميران، وجاءته الفرصة في سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، لتدبير مؤامرة ضدهما، فإستعان بالأمير بكتمر الجوكندار الذى كان أمير جاندار وقت ذالك، لما توسم فيه الإخلاص له وأحس بأنه من الذين يعطفون عليه ويشعرون بما يعانيه من آلام الحجر على حريته، وفتح له قلبه وأشار صراحة، إنه يود أن يتخلص من الأميران سلار وبيبرس، فوافقه الأمير بكتمر على ما قاله وأخذ يعد معه خطة المؤامرة للتخلص من هذين الأميرين، وكانت الخطة هى أنهما قررا أن القلعة إذا أغلقت فى الليل وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة، لبست مماليك السلطان ملابس الحرب وحملت السلاح وركبت الخيول من الاسطبل وسارت إلى إسطبلات الأمراء ودقت الكوسات بالقلعة ليجتمع المماليك تحت القلعة بمن هم فى طاعة السلطان وأن يهجم بكتمر الجوكندار على بيتى الأميران سلار وبيبرس ويأخذهما قبضًا «باليد» ولكن الأميران سلار وبيبرس، كان لهما بقصر السلطان عيون وجواسيس أبلغوهما بما عزم عليه السلطان والأمير بكتمر الجوكندار، فاتخذا حيطتهما، وحاصر رجالهما القلعة، وبعث الأمير سلار رجاله إلى السلطان للاحتراس عليه خوفًا من نزوله من القلعة والبس عدة مماليك وأوقفهم مع أخويه الأميران سمُك ولاجين، اللذان صمتت المصادر عن سيرتهما، حيث لم يكن لهما دور يذكر إلا بعد أن تولى سلار نيابة السلطنة، بعد ذلك بدأ هذان الأميران يظهران على مسرح الأحداث جنب إلى جنب بجوار أخيهما الأمير سلار نائب السلطنة. فلما كان منتصف الليل، وقف الأميران سمُك ولاجين على باب الإسطبل، فسمعوا حس وحركة بداخل الإسطبل بسبب قيام المماليك السلطانية ولبسهم السلاح لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل وكادت تقع المعركة بين المماليك السلطانية ومماليك الأمير سمُك اخو الأمير سلار، إلا أن السلطان منع مماليكه من ذلك وأراد الأمير سمُك إقامة الحرمة فرمى بالنشاب ودق الطبل فوقع سهم من النشاب بالرفرف السلطاني، وترامى إلى عامة الشعب هذه الأخبار، فتركوا أعمالهم وذهبوا إلى القلعة، فوجدوا رجال الأميران سلار وبيبرس يحاصران القلعة، والسلطان واقف بأعلى الأسوار، وعندما تساءل العامة عن سبب هذا الحصار كان جواب الأمراء الحاضرين على هذا التساؤل، أن سبب الحصار

أنما يعرفه السلطان نفسه ويعرفه المماليك الذين يحرضونه على الأميرين سلار وبيبرس، فأنكرا السلطان أن يكون أحد مماليكه قد وشى بينه وبين الأميرين، فثار العامة وأفحشوا فى سبهم للماليك وهتفوا بحياة السلطان الناصر محمد، فأراد الأمير سمك أخو الأمير سلار، قتال العامة وتفريقهم، فمنعه الأمراء الذين كانوا معه خوفه الكسرة من العوام، واضطر الأمير سمك والمماليك الذين كانوا معه إلى التقهقر أمام ضغط العامة وزحفهم وتمسكهم بالبقاء أمام القلعة حتى يضمنوا سلامة حياة السلطان الناصر محمد، ووصلت هذه الأخبار إلى الأميرين سلار وبيبرس، فتشاورا فى الأمر واستقر رأيهما على أن يبعثا بالأمير بتخاص المنصورى ومعه بعض المماليك الذين كانوا يحملون الدبابيس وذلك بقصد تفريق العامة بالحسنى ووعدهم بالمحافظة على روح السلطان الناصر محمد، ولكن الأمير بتخاص المنصورى فشل فى مهمته، وزاد هياج العامة وتجاوبت صيحات العامة الثائرين ، تردد: يا ناصر يا منصور، الله يخون الخائن، الله يخون من يخون ابن قلاوون(٨٨).

وكادت تقع مذبحة عظيمة، لولا حكمة ذلك الأمير الذى ندبه الأميران سلار وبيبرس لتهدئة الحال، إذ تقدم من العامة الثائرين وأخذ يلين لهم فى القول، ويهدأ من ثورتهم قائلاً: «طيبوا خاطركم، فإن السلطان الناصر محمد، قد طاب خاطره على أمرائه سلار وبيبرس، ومازال يقسم لهم أن السلطان الناصر محمد قد رضى عن أمرائه حتى صدقه العامة الثائرون واطمأنوا إلى قوله وأخذوا يتفرقون، فعاد الأمير بتخاص المنصورى إلى الأميران سلار وبيبرس، ونقل لهما صورة صادقة عما رآه من تعلق العامة الثائرين بالسلطان الناصر محمد وحبهم له(٨٩). ورأى سلار وبيبرس ، أن الحكمة منهما تقتضى إرضاء السلطان الناصر محمد، فبعثا إليه مرة أخرى الأمير بتخاص المنصورى، ليطلب العفو من السلطان الناصر محمد عما حدث من الأميرين سلار وبيبرس، فعفا عنهما السلطان، ثم تقدما الأميران إلى السلطان واعترفا له بأنهما ورجالهما من مماليك السلطان وفى طاعته والتماسا منه أن يخرج من مماليكه من كان السبب فى حدوث الفتنة، ولكن السلطان رفض فى أول الأمر أن يخرج أحدًا من مماليكه، فواجهه الأمير سلار ببعض المماليك وعلى رأسهم الأمير بكتمر الجوكندار الذين كانوا السبب فى هذه الفتنة، حيث أن جواسيس وعيون الأمير سلار بقصر السلطان الناصر محمد كانوا قد ابلغوا الأمير سلار بهؤلاء المماليك، وقد خيل إلى السلطان الناصر محمد أن الأمير بكتمر الجوكندار هو الذى غدر به وفضح أمره

للأميرين سلار وبيبرس، ولذلك انتهز هذه الفرصة وأغرى به الأميرين وطلب إبعاده من مصر، وحاول بيبرس وسلار أن يخففا من حدة غضب السلطان عليه ولكنه أصر على إبعاده وقال لهما: «والله ما بقيت لى عين تنظر إليه، ومتى أقام فى مصر ما جلست أنا على كرسى الملك أبدًا فاضطر الأميران إلى نقل الأمير بكتمر الجوكندار إلى خارج مصر وعين نائبًا فى صفد، ومن الواضح أن الأميرين سلار وبيبرس كانا على علم بما حدث بين السلطان الناصر محمد وبين الأمير بكتمر الجوكندار عن طريق عيونهما وجواسيسهما بقصر السلطان، فلما كشف أمر بكتمر الجوكندار هدداه الأميرين سلار وبيبرس بالقتل إذا لم يكن معهما على السلطان، فخشى بكتمر على نفسه وأضطر أن يكون مع الأميرين دون علم السلطان ليسلم بنفسه. أما عن باقى الأمراء الذين كانوا السبب فى حدوث الفتنة،. فهددهم الأمير سلار ووبخهم وقصد سلار أن يقيدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان الناصر محمد، واكتفى الأمير سلار بخروجهم إلى القدس من وقتهم على البريد. ثم دخل الأمراء جميعًا برئاسة الأميرين وقبلوا الأرض بين يدى السلطان الناصر محمد، فعفا عنهم، وخلع على الأميرين ورجاه الأميران أن يخرج فى موكب حتى يراه عامة الشعب وتطمئن قلوبهم عليه، ويتأكدون أن الفتنة، قد خمدت وأن السلطان الناصر محمد قد رضى عن الأمراء، فإستجاب السلطان لهذا الرجاء وخرج في احتفال مهيب تلقاه عامة الشعب بالبشر والترحاب، وهدأت الأحوال فى البلاد فى الظاهر أما فى الباطن، فقد كان الغليان لا يزال يفور فى قلب كلا من الطرفين المتنازعين، فالأميران سلار وبيبرس ومن يمالئهما من الأمراء كانوا فى غيظ شديد من هذا الحب والوفاء العظيم الذى تكنه عامة الشعب للسلطان الناصر محمد، الذى فوت على الأميران الفرصة فيما كان يسعيان إليه من الاحتراس على السلطان وحجزه فى القلعة. أما السلطان فكان هو الآخر فى غيظ شديد لأنه لم يحقق ما كان يطمع فيه من التخلص من الأميرين سلار وبيبرس من أجل أن ينفرد بالسلطة من دونهما. ولكنه يكفيه على كل حال ما لمسه من مدى تعلق عامة الشعب به وحبه إياه(٩٠). ومن هنا كان لزامًا على السلطان الناصر محمد أن أراد أن يوطد أركان عرشه أن يسترضى فريقًا من أقوياء أمراء المماليك، يكونوا فى مثل قوة الأميرين سلار وبيبرس، حتى يستطيع الإطمئنان على نفسه وعلى عرشه، ولم يكن ذلك ميسورًا وقت ذاك، لذلك فضل الانتظار لعل الظروف تتغير، فكان يتحين الفرصة بعد الأخرى فى حدوث الخلاف بين الأميرين سلار وبيبرس ليجد طريقًا ليأخذهما واحد بعد الآخر، مما

جعل الأميرين يراعي كل منهما الآخر مهما حدث بينهما ليفوتوا على السلطان هذه الفرصة، وهذا ما حدث في سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، فقد وقع الشقاق بين الأميرين سلار وبيبرس بسبب الخلاف الذي وقع بين الأمير علم الدين سنجر البرواني وبين الأمير سيف الطشلاقي على اقطاع الأمير البرواني. وكان الأمير البرواني من خواص الأمير بيبرس، وكان الأمير الطشلاقي من خواص الأمير سلار، فسطا الأمير الطشلاقي على الأمير البرواني وسفه عليه، فقام الأمير البرواني إلى الأمير بيبرس واشتكى منه فطلبه الأمير بيبرس وعنفه، فأساء الأمير الطشلاقي في رد الجواب فإستشاط الأمير بيبرس غضبًا وقام ليضربه، فجرد الأمير الطشلاقي سيفه ليضرب الأمير بيبرس، فقامت قيامة بيبرس وأخذ سيفه ليضرب الطشلاقي، فترامى عليه الأمراء وامسكوه عنه وأخرجوا الأمير الطشلاقي من وجهه، فطلب الأمير بيبرس الأمير سنقر الكمالي الحاجب وأمره بنفي الأمير الطشلاقي إلى دمشق، فخشى الأمير سنقر من الأمير سلار النائب ودخل عليه وأخبره، فأرسل الأمير سلار جماعة من أعيان الأمراء إلى الأمير بيبرس وأمرهم بملاطفته حتى يرضى عن الأمير الطشلاقي فصرخ فيهم الأمير بيبرس وحلف بان الأمير الطشلاقي لا يبات في القاهرة الليلة، فعاد الأمير سنقر الكمالي الحاجب وبلغ الأمير سلار الذي لم يسعه إلا السكوت، وأخرج الأمير الطشلاقي من وقته، وأمر الأمير سلار، الأمير سنقر الكمالي بتأخير الأمير الطشلاقي في بلبيس حتى يراجع الأمير بيبرس في أمره، وعندما اجتمع الأمير سلار بالأمير بيبرس في الخدمة السلطانية من الغد، حدّث الأمير بيبرس، الأمير سلار بما كان من أمر الطشلاقي في حقه من الإساءة، وسلار يسكته ولا يسكت، بل يشتد، فأمسك الأمير سلار عن الكلام على حقد في الباطن، وصار السلطان الناصر محمد يريد إثارة الفتنة بينهما ولكن لم يتم له ذلك، وتوجه الأمير الطشلاقي إلى الشام منفيًا(٩١). وفي نفس السنة ازدادت الوحشة بين الأميرين مرة أخرى وكان سببها الخلاف الذى وقع بين كاتب الأمير بيبرس، التاج بن سعيد الدولة الذى كان بينه وبين الأمير سنجر الجاولي خلاف، وكان الأمير الجاولي صديقًا للأمير سلار، فقام الأمير بيبرس لنصرة كاتبه وقام الأمير سلار لنصرة صاحبه وصديقه الأمير الجاولي، ووقع بينهما بسبب ذلك أمور عدة. وكان الأمير بيبرس من عادته أن يركب للأمير سلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، فمن يومئذ لم يركب معه، وكادت الفتنة أن تقع بينهما، ولكنهما استدركا أمرهما خوفًا من غدر السلطان الناصر محمد بهما، فاصطلحا بعد أمور يطول شرحها(٩٢). وعاد الإحساس

بالضيق يحتل كيان السلطان الناصر محمد، وينغص عليه حياته، ففكر فى الخروج من مصر والإبتعاد عنها فترة من الزمن لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وادعى كذبًا أنه يريد أن يؤدى فريضة الحج هو وأولاده وتحدث فى ذلك مع الأميرين سلار وبيبرس، فوافقا على خروجه، وأخذ السلطان الناصر محمد فى الإستعداد لذلك، وبدأ الأمراء فى تقديم الهدايا للسلطان بهذه المناسبة، من خيل وجمال وغيرها، وكان السلطان يتقبلها شاكرًا(٩٣). وفى ٢٥ من رمضان من سنة ٧٠٧هـ / ١٢ فبراير ١٣٠٧م، رحل السلطان الناصر محمد، وقد خرج الأميرين سلار وبيبرس على رأس الأمراء لوداعه، ولكنهم لم يترجلوا فى حضرته، كما كانت العادة، بل ظلوا على ظهور خيولهم، مما يبين أن تصالحهم مع السلطان لم يمح من نفوسهم أثارة الموجودة وأن الحقد مازال كامنًا فى نفوسهم تجاه السلطان، وعندما وصل السلطان الصالحية استقر بها يوم وليلة، ثم سار إلى الكرك، فوصلها فى ١٠ شوال/ ٤ أبريل من نفس السنة، وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك، عرف الأمراء الذين كانوا بالكرك، أنه قد أثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة، وخلع نفسه ليستريح خاطره، ثم طلب من ابن الأثير كاتب السر الذى كان قد توجه معه إلى الكرك، أن يكتب للأميرين سلار وبيبرس بمصر بالسلام عليهم ويعرفهم أنه قد رجع عن الحج وأقام بالكرك ونزل عن السلطنة وسألهم الإنعام عليه بالكرك والشوبك وأعطى السلطان الخطاب لبعض الأمراء الذين كانوا معه فى الكرك، وعلى رأسهم الأمير أقوش نائب الكرك، وأمرهم بالعودة إلى الديار المصرية وأعطاهم الهجن التى كانت معه برسم الحج(٩٤). أما الكتاب الذى كتبه السلطان الناصر للأميرين سلار وبيبرس، فهذا نصه: «حرس الله تعالى نعمة الجنابين العاليين الكبيرين الغازيين المجاهدين، وفقهما الله تعالى توفيق العارفين، أما بعد فقد طلعت إلى قلعة الكرك وهى من بعض قلاعى وملكى، وقد عولت على الإقامة فيها، فإن كنتم مماليكى ومماليك أبى فاطيعوا نائبى (يعنى نائبه سلار) ولا تخالفوه فى أمر من الأمور، ولا تعملوا شيئًا حتى تشاورونى فأنا ما أريدلكم إلا الخير، وما طلعت إلى هذا المكان إلا لأنه أروح لى وأقل كلفه، وإن كنتم ما تسمعون منى فأنا متوكل على الله والسلام»(٩٥). فلما قدم الأمير أقوش نائب الكرك إلى مصر، قال له الأمير سلار: «من امرك بتمكين السلطان الناصر محمد من الطلوع إلى القلعة؟ (يعنى قلعة الكرك) فقال الأمير أقوش: «كتابكم وصل إلى يامرنى بان أنزل إليه وأطلعه إلى القلعة». فقال الأمير سلار: «وأين الكتاب»؟ فأخرجه، فقال الأمير سلار: «هذا غير الكتاب الذى كتبناه،

فأطلبوا الأمير الطنيغا الذى كتب الكتاب» فطلبوه ، فوجدوه، قد هرب إلى الكرك عند السلطان الناصر محمد، فسكتوا عنه. وتشاور الأمير سلار ساعة مع الأمراء واتفقوا على أن يرسلوا إلى السلطان الناصر محمد كتابًا أرسلوه مع الأمير البروانى على البريد وطلبوا فيه أن يحضر السلطان الناصر محمد بنفسه، إلا أنه رفض وأمر بإحضار آلة الملك، مثل العصائب والسناجق والكوسات (الهجن) وكل ما كان معه من آلة الملك وأعطاها إلى الأمير البروانى وقال له «قل للأمير سلار أننى ما أخذت شيئًا من بيت المال وهذا الذى أخذته قد سيرته لكم فأنظروا فى حالكم فأنا ما بقيت أعمل سلطانًا وأنتم على هذه الصورة، فدعونى أنا فى هذه القلعة منعزلا عنكم، إلى أن يفرج الله تعالى إما بالموت وإما بغيره»، فأخذ الأمير البروانى كتاب السلطان الناصر محمد وجميع ما أعطاه السلطان وسار إلى أن وصل إلى مصر، فسلم الكتاب وما معه إلى الأمير سلار، فلما قرأ سلار الكتاب، قال: «ولو كان هذا الصبى يجىء ما بقى يفلح ولا يصلح للسلطنة. وأنه إذا ما أعادته الظروف إلى السلطنة، فلا يمكن أن يؤمن غدره». فلما سمعت الأمراء ذلك أخذوا يتشاورا مع بعضهم واتفقوا على أن يجتمعوا بدار الأمير سلار. وفى ٢٣ شوال ٧٠٧هـ / ١٧ أبريل ١٣٠٧م، اجتمع كل من الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادار والأمير أيبك الخازندار وبحضور قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف والخليفة العباسى المستكفى بالله كلهم برئاسة الأمير سلار، حيث قرىء عليهم كتاب السلطان الناصر محمد، سالف الذكر، وشهد باقى القضاة بنزول السلطان الناصر محمد عن العرش وترك سلطنة مصر والشام وأثبتوا ذلك واجتمعت كلمتهم على سلطنة الأمير سلار الذى خاف من ذلك وخشى العاقبة فإمتنع. وكان الأمير سلار بحكم وضعه ونيابته عن السلطان أحق الأمراء بالملك والسلطان نظرا لقوة عقله وتؤوته إلا أنه رأى أن السياسة تتطلب منه أن يرفض المنصب ولو إلى حين واعتذر بأنه لا يصلح للسلطنة رغم أهليته له وأنه أقدم وأرفع منزلة عن باقى الأمراء، وأبى وأقسم أنه لن يتبوأ العرش. وأمام إصرار أكابر الأمراء، قال سلار: «نعم على شرط كل ما أشير به لاتخالفوه» وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته وألا يخالفوه فى شىء، فقلق أمراء البرجية من ذلك ولم يبق إلا إقامتهم الفتنة، فكفهم الله عن ذلك وأنقضى الحلف، فعند ذلك قال الأمير سلار: «والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك ولا يصلح له إلا أخى هذا وأشار إلى الأمير بيبرس الجاشنكير ونهض قائمًا إليه، وكان بيبرس جالسا وبايعه بالملك وسارع الأمراء بعده

إلى بيبرس يبايعونه ويقولون «لقد صدق الأمير سلار فيما قال «وأخذوا بيد الأمير بيبرس الجاشنكير وأقاموه كرها، وكانت البيعة لبيبرس فى نفس اليوم فى دار الأمير سلار(٩٧).

ولكن الأمير بيبرس الجاشنكير اشترط أنه لن يقبل السلطنة إلا إذا كان الأمير سلار نائبًا للسلطنة، وعندئذ، تقدم الأمراء إلى الأمير سلار يرجونه قبول هذه الوظيفة، فقبلها بعد تمنع شديد،وبذلك يكون سلار قد اكتفى بمنصبه كنائب للسلطنة، فزفت البشائر فى قلعة الجبل بإختيار الأمير بيبرس سلطانًا على البلاد، ومشى الأمير سلار النائب والأمراء جميعًا بين يديه وساروا مع الأمير بيبرس حتى وصل إلى كرسى العرش وجلس على تخت الملك وهو يبكى، وكأن نفسه تحدثه عن المصير المؤلم الذى ينتظره، فهو يعلم طبيعة العصر الذى يعيش فيه، ويذكر ابن ابيك الدوادارى «أن السلطان بيبرس الجاشنكير، خلع على الأمير سيف الدين سلار خلعه النيابة بعد التحليف بدار النيابة واستمر التحليف ذلك اليوم واليوم الثانى واليوم الثالث»(٩٨). وعندما علم عامة الشعب بتنازل الناصر محمد عن العرش، توقعوا نشوب الفتنة بين مماليك الأمير سلار ومماليك السلطان الجديد بيبرس الجاشنكير، فقد كانا هما أقوى رجلين فى الدولة، ولعل الناصر محمد، عندما قال لنائب حلب الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، الذى طلب منه التصدى لهذين الأميرين لاستعادة عرشه. «إن هذا الأمر لا ينال بالعجلة»كان يطمع فى أن تخدمه الظروف ويقع الشقاق بين سلار وبيبرس، وتتعقد الأمور أمام السلطان بيبرس الجاشنكير وتكثر المشاكل عنده ويضيق الشعب به وبحكمه، ويستاء الأمراء من تصرفاته، فرأى الناصر أن يصبر بعض الوقت، حتى تخدمه الظروف ويتمكن من استرداد عرشه الذى اغتصبه منه السلطان بيبرس الجاشنكير، وكان الناصر محمد، معتمدًا فى ذلك على معارضة أمراء الشام الذين عارضوا السلطان بيبرس الجاشنكير، ورفضوا مبايعته، فقد وقف كل من الأمير اقوش الأفرم نائب الكرك والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب، والأمير سيف الدين قجمق المنصورى نائب حماة والأمير سيف الدين أسندمر المنصورى نائب طرابلس - جميعهم موقف معادى للسلطان بيبرس الجاشنكير، ووعدوا الناصر محمد، الوقوف بجانبه وأنهم مازالوا على يمين الطاعة والولاء له وأنهم جميعًا رهن إشارته، إذا ما فكر فى العودة إلى مصر لإستعادة عرشه(٩٩). وطبيعى أن يعرف السلطان بيبرس الجاشنكير أمر هؤلاء الأمراء الذين عارضوا سلطنته ولم يوافقوا عليها، فقد تضايق من

تصرفهم هذا، وأصبح فى حيرة من أمره، فاستدعى رجل دولته الأول ومستشاره ونائبه الأمير سلار فى أمرهم، وفيما ينبغى عمله مع هؤلاء الخارجين عليه. فاشار عليه الأمير سلار، أن يكتب لهم كتابًا يقرهم فيه على ولاياتهم، ويعفيهم من دفع أى شىء، ولكن بيبرس الجاشنكير عارض هذا الرأى فى أول الأمر، وقال: «إذا فرقت البلاد عليهم ما يساوى ملكى شيئًا، فرد عليه الأمير سلار، ردًا كشف بأوضح صورة عن خلق المماليك، إذا قال لبيبرس: «وكم من يد تقبل عند الضرورة وهى تستحق القطع، فاسمع منى وأرضيهم فى هذا الوقت، فإذا قدرت عليهم بعد ذلك، افعل بهم ما شئت»، فاقتنع بيبرس بهذه النصيحة، ووافق على اقتراح الأمير سلار، فبعث السلطان بيبرس إلى ولاة الأقاليم المعارضين له بالشام بالتقاليد ومعها الخلع والهدايا وخطاب رقيق يبرز فيه تربعه على عرش السلطنة. ويقول «أنه لم يقبلها إلا بعد أن تنازل الناصر محمد عنها طوعًا، ثم يرجوهم أن يكونوا عونًا له»(١٠٠) . وفى جمادى الأولى سنة ٧٠٩هـ / أكتوبر ١٣٠٩م، أخذ الناصر محمد يراسل الأمير قراسنقر نائب حلب والأمير أقوش الأفرم نائب الكرك والأمير قبجق نائب حماة، والأمير أسندمر نائب طرابلس، وبعض أمراء الشام ومصر الذين كانوا ناقمين على حكم السلطان بيبرس الجاشنكير القائم فى مصر والذين كانوا راغبين أيضًا فى عودة الناصر محمد إلى عرشه فى مصر. إلا أن الأمر لم يخف على بيبرس الجاشنكير الذى استدعى سلار على الفور ليستشيره فيما ينبغى عمله مع الناصر محمد، فأشار عليه الأمير سلار، أن يكتب له كتابًا، ارسله على البريد على يد الأمير مغلطاى. جاء فيه: «إن ساعة وقوفك على هذا الكتاب وقبل وضعه بين يديك ترسل المماليك الذين عندك ولا تخل منهم عندك سوى خمسين مملوكًا، فإنك اشتريت الكل من بيت المال وإن لم تسيرهم سرت إليك وأخذتك وأنفك راغم وإن ترسل ما عندك من الخيل وإن تكف عن الاتصال بنواب الشام والأمراء فى الشام ومصر»(١٠١). إلا أن هذا الكتاب كان بمثابة الشرارة التى فجرت النيران داخل صدر الناصر محمد وزادت من غضبه، ودفعته للعمل الجاد للإستعداد لإستعادة عرشه فى مصر، فكاتب نواب الشام فى حماة وطرابلس وصفد وأمراء مصر، ممن كان يثق فيهم، بمضمون الخطاب الذى وجهه إليه السلطان بيبرس الجاشنكير، وذكرهم ما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحيلة، وذكرهم أيضًا بوعدهم لمعاونته على استرداد عرشه، فلما عرف المصريون بهذا الاستعداد، فرحوا وأخذوا يترقبوا عودة السلطان الشرعى الناصر محمد للبلاد، أما بيبرس الجاشنكير فقد اشتد غضبه وزاد وبعث إلى الأمير سلار

يستشيره فى الأمر كالعادة، فقد كان الأمير سلار على دراية كبيرة بشتى الأمور فى الدولة كبيرها وصغيرها. بينما كان بيبرس الجاشنكير سلطانًا بالأسم، وبينما هما يتشاوران فى الأمر، وصل إليهما إشاعة فحواها أن الناصر محمد، قد خرج من قلعة الكرك، ولم تعرف وجهته، فأصدر الأميران أمرهما بالإستعداد للحرب والتحفظ على جميع الطرقات المؤدية إلى مصر، لمواجهة جيوش الناصر محمد. فى حالة إذا جاءت إلي مصر لإستعادة عرشه[١٠٢]. ولكن الحالة فى مصر كانت قد ازدادت سوءًا فى هذا الوقت، إزاء ما تعانيه البلاد من فوضى وفتن داخليه، وتنازع الأمراء المماليك فيما بينهم بسبب الصراع على السلطة والنفوذ، فقد قام الأمير نوغان ومعه جماعة من الأمراء بتحريك الطبلخانا حربيًا وشق من الحسينية، فماجت الناس، وركبوا من الحسينية، وأعلموا صاحب الأمر فى البلاد، الأمير سلار، فركب سلار وطلع إلى القلعة وأخبر السلطان بيبرس بما حدث، وقيل أن ذلك كان بمباطنة الأمير سلار مع نوغان، فلما بلغ السلطان بيبرس ذلك قال: «على أيش توجهوا»، فقال الأمير سلار «على نباح الجراء فى بطون الكلاب، والله ما ينظر فى عواقب الأمور ولا يخاف آثار المقدور»، فقال السلطان بيبرس: «أيش المصلحة»، وأمر فى الحال بخروج خمسة الاف فارس صحبتهم الأمير سمك أخو سلار، وقال له السلطان بيبرس، «لا ترجع إلا بهم»، ولم يبعد الأمير نوغان حتى وصل الأمير سمك ومعه العساكر، فلما رآهم الأمير سمك، قال للأمير نوغان «أرسلنى السلطان بيبرس ويقول لك أنك كنت من أكبر أصحابه، فما الذى غيرك عليه فإن كان لأجل الخبز، فما يأكل الخبز أحدًا أحق منك»، ولكن الأمير نوغان أصر على الخروج إلى الكرك، لغرض ما فى نفسه، وهو اللحاق بالناصر محمد هناك، ولما علم سلار بذلك أرسل إليه يطلبه ويأمنه علي حياته، هو ومن معه من الآمراء، فلبى الأمير نوغان طلب الأمير سلار، وعاد إلى القاهرة، ومن معه من الأمراء. وهدأت الأمور إلى حين، ولكن ظهر على السلطان بيبرس إختلال الحال وأخذ خواصه فى تعنيفه على إبقاء الأمير سلار نائبًا، وقالوا: «إن جميع هذا الفساد منه، بسبب إنه لما فاتته السلطنة وقام بيبرس فيها، حسده على ذلك، ودبر عليه وبيبرس فى غفلة عنه، فإنه كان سليم الباطن لا يظن أن الأمير سلار يخونه، لذلك نسب أمراء البرجية فساد الأمور كلها إلى الأمير سلار»[١٠٣] وقد بعث الناصر محمد بكتاب إلى السلطان بيبرس الجاشنكير، الذى انخدع به وظن أن الناصر محمد، قد خضع له وخاف من تهديده. وهذا ما جاء فى الخطاب: «المملوك محمد بن قلاوون يقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية -

أسبغ الله ظلها ورفع قدرها ومحلها... إلخ، ومن شدة فرحة السلطان بيبرس بهذا الخطاب، عرضه على نائبه ومستشاره الأمير سلار، الذى التفت إلى السلطان بيبرس بعد قراءة هذا الخطاب، وقال له: «ما قلت لك أن الملك الناصر محمد ما بقيت له قدرة على المعاندة! وقد أصبح ملك مصر والشام طوع يديك»(١٠٤). وهكذا استطاع الناصر محمد أن يخدع السلطان بيبرس ونائبه الأمير سلار، ثم أخذ الناصر محمد فى الاستعداد ليوم الفصل، اليوم الذى سوف يسترد فيه عرشه، وفى هذا الوقت ازدادات كراهية عامة المصريين لحكم السلطان بيبرس، بسبب اضطراب شئون البلاد وسوء أحوالها الاقتصادية، فلسوء حظه وشئم بخته قد واكب فترة حكمه، انتشار بعض الأمراض والأوبئة فارتفعت أسعار السلع وعم الغلاء على عامة الشعب المصرى وقد عبر الناس غن كراهيتهم للسلطان بيبرس بأغنية كانوا يرددونها تقول: «سلطاننا ركين، ونائبنا دقين، يجينا الماء من أين يجيبوا لنا الأعرج، يجىء الماء ويدحرج»(١٠٥). وقد أخذت الوساوس تشغل بال بيبرس الجاشنكير من ناحية الأمير سلار، فقد ترامى إلى سمعه أنه يتوطأ مع الناصر محمد ضده، ثم بلغ الأمير سلار إن حاشية السلطان بيبرس الحت عليه فى القبض على الأمير سلار. ولكن السلطان بيبرس جبن عن ذلك، وقد خشى الأمير سلار على نفسه، فتمارض، ولا زال أصحاب بيبرس يغروه بالأمير سلار الذى شق على نفسه ما صار إليه السلطان بيبرس والمماليك البرجية من مهابة وتسلط فى أمور الحكم والدولة والانفراد بالركوب فى جمع عظيم، فقد أخرج السلطان بيبرس، الأمير سنجر الجاولى صديق الأمير سلار، وصادره بغير أخذ رأى الأمير سلار، فلما وقع ذلك وعلم سلار بما حدث لصديقه وسنده الأمير سنجر الجاولى الذى خرج إلى دمشق بطالاً بناء على أوامر السلطان بيبرس، خاف الأمير سلار عواقب الأمور من السلطان بيبرس، أو من الناصر محمد، إذا استطاع إستعادة عرشه، مما دفع الأمير سلار إلى التفكير فى الخلاص من ذلك بأن يحج فى جماعته، ثم يسير إلى اليمن فيملكها ويمتنع بها، ولكن السلطان بيبرس فطن إلى ذلك، فدس على الأمير سلار، جماعة من الأمراء، أثنو عزم الأمير سلار عن ذلك، ثم إستدعى السلطان بيبرس الأمير سلار، وذكر له، أن الأمر خطير، وأن المصلحة واحدة، وتتطلب العمل معا، لمواجهة جيوش الناصر محمد القادمة من الشام لاستعادة عرشه(١٠٦). ولكن الأمراء البرجية قرروا الخلاص من الأمير سلار وأكثروا الإغراء به للسلطان بيبرس الذى قال لهم: «إن كان فى خاطركم شىء، فأنا لا أتعرض له بسوء قط». فإجتمعت البرجية على

القبض على الأمير سلار، إذا حضر للخدمة، فلما علم سلار بذلك، تأخر عن حضور الخدمة واحترس على نفسه وأظهر أنه قد توعك وأصابه المرض، حقًا لقد كان الأمير سلار يخشى الأمراء البرجية لكثرتهم وقوتهم، وكان يعمل حسابًا لهم، فأخذ مداراتهم، وكان أشدهم على الأمير سلار الأمير بيكور (بنكور)، وقد شرق اقطاعه، فبعث إليه الأمير سلار، ستة آلاف إردب غلة وألف دينار، فكف عنه، ثم هادى خواص السلطان بيبرس وأنعم عليهم ولما اطمأن الأمير سلار على نفسه، حضر عند بيبرس وتحدثا فى أمور البلاد، وفيما يجب عمله تجاه جيوش الناصر محمد القادمة من الشام، وبينما هما فى ذلك، قدم البريد من دمشق، يفيد بأن الناصر محمد، سار من الكرك إلى البرج الأبيض بدمشق ولم يعرف أحد مقصده، فكتب فى الحال إلى ولاة الأقاليم المؤدية إلى مصر، بحفظ الطرقات لمواجهة جيوش الناصر محمد. واشتهر بالديار المصرية حركة الناصر محمد، وخروجه من الكرك، فماجت الناس واضطربت شئون البلاد وزادت الفوضى والفتن الداخلية، وانتهز الفرصة للمرة الثانية الأمير نوغان القبجاقى الذى خرج عن طاعة السلطان بيبرس من قبل وقرر اللحاق بالناصر محمد، والخروج إلى الكرك، إلا أن سلار كان قد هدأ من روعه وإعاده إلى القاهرة بعد أن آمنه على حياته هو وجماعته من الأمراء، فقد كان الأمير نوغان هذا، يتحين الفرصة تلو الأخرى للخروج على السلطان بيبرس، حيث كان هذا الأمير مقدامًا، حاد المزاج، قوى النفس، وكان نوغان من إلزام الأمير سلار وأتباعه، فقام نوغان ومعه جماعة من المماليك السلطانية وقرر، أن يهجم هو ومن معه من المماليك السلطانية على السلطان بيبرس، إذا ركب، ويقتله ففطن به خواص السلطان بيبرس وتحلقوا حوله، فلم يجد الأمير نوغان سبيلاً إلى ما عزم عليه، وعاد السلطان بيبرس إلى القلعة، فعرفه إلزامه ما فهموه من أمر نوغان وحسنوا له القبض عليه وتقريره على من معه من الأمراء، فاستدعى السلطان بيبرس، الأمير سلار، وعرفه الخبر، وكان الأمير نوغان قد باطن الأمير سلار بذلك، فحذر الأمير سلار، السلطان بيبرس وخوفه عاقبة القبض على الأمير نوغان، وإن فى ذلك فساد قلوب جميع الأمراء وليس الرأى إلا الإغضاء فقط وقام الأمير سلار عنه، فأخذ الأمراء البرجية بالإغراء بسلار بأنه باطن الأمير نوغان، كما إتهموا الأمير سلار أيضا بمباطنة الناصر محمد، وقالوا لبيبرس «إن لم تقبض على الأمير نوغان والأمير سلار، فسد الحال» فتغاضى السلطان بيبرس عن ذلك. ثم أرسل إلى الأمير سلار مرة أخرى ليستشيره فى أمر الخروج لمواجهة جيوش الناصر محمد،

إلا أن الأمير سلار، ازاء سوء أحوال البلاد واضطراب أحوالها وتذمر المماليك وانقسامهم على انفسهم. بالإضافة إلى هياج عامة الناس والإشاعات التى تفيد بأن الناصر محمد فى طريقه إلى مصر.. إزاء كل ذلك، أشار الأمير سلار على السلطان بيبرس بأن يتنازل عن العرش، وذكر له بأن المصلحة تقتضى ذلك، وأشار عليه أيضًا بأن يكتب كتابًا، إلى الناصر محمد، يرجوه فيه، الصفح ويلتمس منه تعينه فى أى مكان يتوجه إليه هو وأولاده، وقد وافق الأمراء الحاضرون على ما أشار به الأمير سلار، وفكر السلطان بيبرس قليلاً، ثم انضم معهم فى الرأى، وقام لساعته وكتب إلى الناصر محمد، كتابًا، يتضمن ما أشار به الأمير سلار، جاء فيه «أن حبستنى عددت ذلك خلوة وإن نفيتنى عددت ذلك سياحة وإن قتلتنى كان فى ذلك لى شهادة[١٠٧] نستشف من هذا إن الأمير سلار، كان هو المستشار الأول فى الدولة، وهو الذى يوجه دفة الأمور، فالسلطان بيبرس فى حيرة من امره، والأمير سلار، هو المدبر والمفكر الأوحد فى دولة سلاطين المماليك خلال نيابته للسلطنة سواء فى سلطنة الناصر محمد، أو بيبرس الجاشنكير. وعلى اثر ذلك، أعلن السلطان بيبرس خلع نفسه من السلطنة بحضور، قضاة مصر الأربعة، وأصدر الأمير سلار أمرًا بإسقاط اسم بيبرس من خطبة الجمعة والعيدين وإعادة اسم الناصر محمد إليها، فإضطربت أحوال بيبرس وقام فى الحال ودخل الخزائن وأخذ منها ما استطاع أن يحمله من الذهب والخيل وخرج مع مماليكه من باب الإسطبل بالقلعة، وكان عدتهم سبعمائة مملوك من بينهم الأمير عزالدين أيدمر الخطيرى والأمير بكتوت القباح وجميعهم من الأمراء البرجية، وسرعان ما ذاع خبر نزول بيبرس عن العرش، فأسرع عامة الشعب وتربصوا بيبرس ومماليكه، فأمر بيبرس مماليكه أن ينشروا المال على العامة، حتى ينشغلوا بجمعة عنه وعنهم، إلا أن العامة لم يلتفتوا إلى المال المنشور، وتركو الذهب وواصلوا جريهم وراء بيبرس ومماليكه، وهم يفحشون فى أقوالهم ورموهم بالحجارة، مما اضطر المماليك إلى التصدى إلى العامة والهجوم عليهم، فإضطر العامة إلى التقهقر أمام المماليك، واستطاع بيبرس ومماليكه الهروب إلى الصعيد، ولكنه لم يستطع أن يأمن على نفسه وعلى مماليكه كثيرًا، ذلك لأنه، لما عاد الناصر محمد إلى عرشه وتربع عليه للمرة الثالثة وكانت قد أصقلته التجارب وحنكته الخبرات واشتد عوده، استطاع أن يحكم القبض على زمام الأمور، وبداء العمل على تصفية حساباته مع كل من بيبرس وسلار، وقد بدأ الناصر محمد تصفيه حساباته بيبرس الهارب إلى الصعيد بخزائن الدولة، فكتب إليه يستدعيه هو

ومن معه من المماليك، فما كان على بيبرس إلا أن يلبى طلب السلطان الناصر محمد، فلما مثل بيبرس بين يدى السلطان، قبل الأرض بين يديه، فأجلسه وأخذ يعنفه بما فعله به وذكره عما كان منه إليه وأخذ يعدد ذنوبه، وقال له «وتذكر وقد قسوت علىَّ بسبب فلان، ورددت شفاعتى فى حق فلان...» فلما فرغ قام السلطان وأمر بأن يخنق بين يديه بوتر، فمات فى ذى القعدة سنة ٧٠٩ هـ / أبريل ١٣٠٩م، ثم أمر بقتل جماعة من مماليكه(١٠٨). ثم جاء دور الأمير سلار، الذى أحس أن ساعته قد دنت، وقرر أن يتقدم إلى السلطان الناصر محمد، قبل أن يستدعيه، وأسرع إليه حتى دنامنة وتقدم إليه وقبل الأرض بين يديه، ثم طلب منه أن يعفيه من مهام منصبه وأن يسمح له بالإقامة بعيدًا عن القاهرة، ويطلب منه أن يقيم بطالاً فى إقطاعه بجهة الشوبك، فأعفاه من نيابة السلطنة، وتوجه الأمير سلار ومعه جماعته إلى الشوبك، ثم تشاغل السلطان الناصر محمد، عنه فترة قصيرة من الزمن، لأنه لم تكن تثبت إدانته بعد، فإنه لم يفعل ما فعله بيبرس من الهروب، ولكن سلار أغلق خزائن المال واحتفظ بالملك سليمًا، ريثما يعود الناصر محمد، فيتسلمه، وبذلك انتهت نيابته فى ٢ شوال سنة ٧٠٩هـ / ٦ مارس ١٣٠٩م. بعد أن قام بها حوالى إحدى عشر عامًا. وأقام بالشوبك وقيل بالكرك، ثم عين السلطان الناصر محمد عوضًا عنه الأمير بكتمر الجوكندار(١٠٩). هكذا كان الأمير سلار خلال فترة نيابته للسلطنة سواء كان نائبًا للناصر محمد أو بيبرس الجاشنكير، كان سلار هو المحرك الأول للدولة والمهيمن على كل شئونها رغم وجود السلطان وأتابك العسكر، فهو مستشار السلطان الأول الذى تمكن من شئون الدولة، لما له من خبرة ومعرفة بكافة الأمور وهو صاحب الأمر والنهى مع رجال الدولة من الأمراء ومن دونهم أيضًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، نحصرها فى بعض الأحداث التى روتها لنا المصادر المملوكية، فتروى لنا المصادر المملوكية أنه فى سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م، عندما عاد الأمير سلار من الحجاز، أوقع بالوزير ابن الشيخى بحجة أنه أخذ مال السلطان وضيق عليه وكان يقطر عليه فى العطاء إذا احتاج إلى شىء من المال، وكان يماطل فى إحضار المال المطلوب للسلطان، والواقع أن سلار، عندما عاد من الحجاز، رأى أن ابن الشيخى، قد علت مكانته وزاد نفوذه لدرجة إنه أصبح يتحكم فى أمور السلطان، مستغلاً صغر سن السلطان، وغياب الأمير سلار عن البلاد، لذلك قرر سلار الحد من شوكته ولو وصل الأمر إلى القضاء عليه والخلاص منه، لذلك إنتدب سلار أحد الأمراء ليحقق فى جهة مال السلطان فكتب أوراقًا، وعندما جلس الأمراء فى الخدمة، عرفهم الأمير سلار ما

بلغه عن أمر الوزير ابن الشيخى ومماليكه، فقال الأمراء جميعهم، فليقطع جلده ويضرب بالمقارع، فقام سلار فى الحال واستدعى ابن الشيخى، فلما حضر ابن الشيخى، قال له سلار «اسمع ما يقول هذا الأمير من انك أخذت مال السلطان وخنته»، فقال ابن الشيخى لشئوم بخته وهو لا يدرى بأنه قد وقع فى الشرك الذى نصبه له سلار، «ومن هذا القطعة النحس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه فى حق مثلى ما يقول «فاشتد غضب الأمير سلار، وقال له «ياقواد يا قطعة نحس! إيش إنت حتى تكبر نفسك، وإذا حضر واحد منا يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا وأمالنا حرمة عليك» وبذلك حقق سلار ما كان يصبوا إليه، فأمر الحاجب فى الحال بضربه على رأسه إلى أن خرب شاشة، ثم سلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه. وعلى الرغم من أن ابن الشيخى كان من خواص بيبرس الجاشنكير الذى كان وقتها أتابك للعسكر، فإن بيبرس لم يتحدث فى أمره بشىء حتى ليلة عيد الفطر من تلك السنة، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئًا من أمور ابن الشيخى، قال له بيبرس: «ما رسم به نائب السلطان الأمير سلار أفعله» وقد توسلت زوجة ابن الشيخى، بنت بهادر رأس نوبة، لبيبرس، فوعدها بخلاصة، وعندما اجتمع الأمراء عند الأمير سلار، تحدث بيبرس مع سلار فى أمر خلاص ابن الشيخى، ولكن سلار، تشدد معه وعرفه ما كان من أمر ابن الشيخى مع السلطان، فإضطر بيبرس الإمساك عنه وقام من المجلس، وعندما غادر بيبرس المجلس، أمر سلار، شاد الدواوين بضرب ابن الشيخى مرة أخرى بين الحين والحين، فضرب شاد الدواوين ابن الشيخى فى يومه، بالمقارع واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة بعد أسبوع من العقاب[١١٠] . وفى هذا دلالة قاطعة على زيادة نفوذ سلار على أتابك العسكر بيبرس. كذلك تروى لنا المصادر بشأن قوة شكيمة الأمير سلار مع بعض الأمراء أنه فى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، وقعت الفتنة بين أمراء السلطان بيبرس البرجية وبين أمراء الأمير سلار، وكان سببها الأمير سنجر الجاولى الذى تربطه بالأمير سلار صداقة حميمة، واتفق الأمراء البرجية مع السلطان بيبرس، أن يخرج الأمير سنجر الجاولى إلى دمشق بطالاً، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، فعز ذلك على الأمير سلار، الذى أعلن متحديًا كل الأمراء بما فيهم السلطان بيبرس، بأنه بمجرد وصول الجاولى إلى دمشق، سوف ينعم عليه بأمره طبلخاناه، وفى ذلك دلالة أخرى على أن الأمير سلار كان ينعم على الأمراء بالوظائف العليا دون مشورة السلطان[١١١]. كذلك كان الأمير سلار يتحدث فى أمر الوزارة ويعين من يصلح لها من وجهة نظره،

فتروى لنا المصادر أنه فى سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٧م تحدث مع بيبرس الجاشنكير الذى كان وقتها أتابك للعسكر فى أمر الوزارة ومن يصلح لها، فأشار سلار، بتعين، التاج بن سعد الدين، وقال لبيبرس تولى ذلك بنفسك، فقام بيبرس بإستدعاء التاج بن سعد الدين، وعرض عليه أمر الوزارة إلا أن التاج رفضها، فتوجه بيبرس إلى سلار، وقال له «إن التاج بن سعد الدين لا يوافق، عرضت عليه الوزارة فامتنع عنها». فقال سلار، لبيبرس دعنى إياه، فقال دونك، وتفرقا. فبعث الأمير سلار إلى التاج، فلما دخل التاج على سلار، عبس سلار فى وجهه وصاح فى الأمراء بأعلى صوته، هاتوا خلعة الوزارة فأحضروها، وأشار إلى التاج بأن يلبسها، فتمنع، فصرخ فيه سلار، وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه، فخاف التاج الإخراق به، لما يعلمه من بطش سلار، واضطر التاج أن يلبس خلعة الوزارة. فى ١٥ محرم / ١٨ يوليو من نفس السنة، فلبس التشريف وقبل يد الأمير سلار الذى بشى فى وجهه وأوصاه بالرعية خيرًا، وخرج التاج بخلعه الوزارة من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة الصاحب بها، وبعد أيام، وجد التاج أن الحمل ثقيل عليه، لذلك ذهب إلى الأمير بيبرس وتوسل إليه، لكى يسعى لدى الأمير سلار، وطلب منه أن يعفى التاج من الوزارة بناء على طلبه ورحمة به، فقال الأمير سلار، قد أعفيناه، ولكنه طلب من بيبرس أن يحضر التاج ليستشيره فيمن يتولى أمر الوزارة عوضًا عنه، فأحضره بيبرس إلى الأمير سلار، فإعتذر التاج وهو يرتعش، فقبل الأمير سلار وعذره، وسأله أن يشير عليه بمن يتولى أمر الوزارة عوضًا عنه، فأشار التاج، بضياء الدين أبى بكر، ناظر الدواوين[١١٢]. ولم يكن الأمير سلار فى نيابته صاحب الأمر والنهى فى مصر، فقط بل تعدى ذلك إلى بلاد الشام. عندما خرج بنفسه فى سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، ليرتب أمور بلاد الشام. استعدادًا لمواجهة التتار، حيث كان السلطان الناصر محمد قاصرًا والأمر كله بيد الأمير سلار وبيبرس الجاشنكير وأتابك العسكر وقت ذلك. فلما وصل سلار إلى دمشق، جلس بدار العدل بها مع الأمراء والقضاة، وخلع على الصاحب عزالدين حمزة ابن القلانس، وولى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن صفى الدين الحريرى قضاء الحنيفية، وولى أيضًا الأمير سيف الدين أقبجا المنصورى، شاد الدواوين، أى التفتيش عليها ومراجعة حساباتها، كما ولى أمين الدين يوسف الرومى حسبة دمشق، وولى تاج الدين بن الشيرازى نظر الدواوين، وخلع على الأمير أرجواش نائب قلعة دمشق، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم[١١٣]. ثم قام الأمير سلار بتعيين نواب السلطنة بالشام على نحو ما رسم السلطان له، ولكن ذلك كان

فى الواقع بمشورة سلار وبيبرس، فقد ذكرنا إن السلطان الناصر محمد، كان قاصرًا، فأقر سلار، الأمير جمال الدين الأفرم على عادته نائبًا بدمشق، وفوض إلي الأمير زين الدين كتبغا الذى كان قد سبق له أن تولى السلطنة فى سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م، وعزل منها فى سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، نيابة حماة، كما فوض إلى الأمير شمس الدين قراسنقر نيابة حلب، وفوضى إلى الأمير سيف الدين قطلباى نيابة السلطنة بالفتوحات بالمملكة الطرابليسية، وأعاد الأمير سيف الدين كراى المنصور إلى نيابة صفد على عادته، وبعد أن استقرت أحوال دمشق والأوضاع فى الممالك الشامية، عاد الأمير سلار إلي الديار المصرية فى نفس السنة[١١٤]. ولقد بلغت سطوة الأمير سلار ذروتها، بل فاقت كل حد يفوق الوصف، أثناء نيابته للسلطان بيبرس الجاشنكير، على حد تعبير المؤرخ ابن تفرى بردى الذى يروى «أنه لما ولى الملك المظفر بيبرس السلطنة، بقى سلار هو الملك الظاهر بين الناس، والملك المظفر بيبرس من وراء حجاب، فلما كان فى بعض الأيام، دخل على الملك المظفر، أميران، أحدهما يسمى نوغان والآخر مغلطاى، فباسا الأرض بين يديه وشكوا له ضعف أخبازهما، فقال لهم المظفر، «أشكو إلى سلار فهو أعلم بحالكما منى»، فقالا: «خلد الله ملك مولنا السلطان، أهو مالك البلاد أم مولانا السلطان» فقال «أذهبا إلى سلار»، ولم يزدهما على ذلك، فخرجا من عنده وجاءا إلى سلار وأعلماه بقول الملك المظفر، فقال سلار: «والله يا أصحابى أبعدكما بهذا الكلام، وأنتما تعلمان أن النائب ماله كلام مثل السلطان»، وكان نوغان كما سبق أن أوضحنا من قبل عنده قوة وبأس » فأقسم بالله لن لم يغيروا خبزه ليقيمن شرًا تهرق فيه الدماء»، ثم خرج من عند الأمير سلار. وفى الحال ركب سلار وطلع إلى القلعة وتقابل مع السلطان بيبرس، وحدثه بما جرى من أمر نوغان ومغلطاى، وحذره من حدوث الفتنة بين الأمراء، وقال: «هذا نوغان، وأنا أعرفه، يصدق فيما يقول، لأنه قادر على إثارة الفتنة بين الأمراء»، وأشار على السلطان بيبرس، بالقبض عليه على الرغم من أنه من الزام الأمير سلار، فوافقه بيبرس على ذلك وفى اليوم التالى، تم القبض عليه فى داره. وبعد أن هدأت الأمور، ترفق به الأمير سلار وأفرج عنه بعد أيام قليلة[١١٥]. كذلك كان الأمير سلار، مقصد السفراء القادمين إلى مصر، وذلك لعلو مكانته فى الدولة، ففى رجب سنة ٦٩٨هـ / أبريل ٢٩٨م، وصل إلى القاهرة، وزير ملك المغرب، ليواصل رحلته إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، فاجتمع به سلار وقابله بالحفاوة والإكرام. واحترمه وأنعم عليه وأجلسه بباب القلعة[١١٦]. كما تروى لنا المصادر، أن الأمير سلار،

كان المسئول الأول عن جميع الأمور كبيرها وصغيرها، ففى جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ/ فبراير ١٢٩٨م، عندما توفى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله بن على الهاشمى العباسى، سير الأمير سلار، خلفه جماعة من الصوفية ومشايخ الزوايا والربط والقضاة والعلماء والأعيان من الأمراء وغيرهم، للصلاة عليه، ونزل سلار بنفسه وبصحبته الأمراء من القلعة إلى الكبش وحضر تغسيله ومشى أمام جنازته حتى حمل إلي تربته بجوار السيدة نفيسة ودفن بها(١١٧). كما كان الأمير سلار قاسيًا، صارمًا فى بعض الأوقات، ففى نفس السنة التى توفى فيها الخليفة الحاكم بأمر الله، قام بعض النصارى، بفتح كنيسة بغير اذن من السلطان الناصر محمد، أو من نائبه سلار، فاجتمع العامة، وتقدموا بشكوى إلى الأمير سلار، الذى أصدر أمره على الفور بالنداء فى القاهرة، بإغلاق هذه الكنيسة، وإن من امتنع من النصارى عن لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء، نهب ماله وحل حريمه(١١٨). هكذا كان الأمير سلار فى مصر والشام هو المهيمن الأول على رجال الدولة من الأمراء وغيرهم والمتحكم فى جميع الوظائف جليلها وحقيرها، فهو صاحب التعيين والعزل، تسير الأمور وفق مشيئته ورغباته، رغم وجود السلطان أو أتابك العسكر، فكان هو السلطان من وراء الحجاب والعين الثاقبة للسلطنة، خلال فترة نيابته للسلطنة للناصر محمد أو بيبرس الجاشنكير، فهو الذى حفظ السلطنة من بطش التتار فى الشام، بل وأرجعهم إلى رشدهم بدخولهم الإسلام، كما حفظ السلطنة من ثورات الأعراب فى الداخل، كما سيرد فيما بعد....

# الفصل الثالث: تصديه للتتار وكسر شوكة الأعراب

ليس غريبا على الأمير سلار هذا التترى الذى وقع فى الأسر، أثناء تصدى السلطان بيبرس البندقدارى للتتار، فاشتراه الأمير سيف الدين قلاوون، الذى تولى السلطنة فى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م[١١٩]، فإندرج فى سلك المماليك وإنصهرت تتاريته فى بوتقة الإسلام وزمرة المسلمين، فحفظ أجزاء من القرآن وآدابه الشريفة ودرس العبادات - ليس غريبا عليه حقًا، أن يخرج هذا الأمير التترى المسلم لمحاربة بنى جلدته من التتار ويتصدى لهم وأن يضع رأسه على أحد كفيه وقلبه على الكف الآخر، لإثارة نفوس المسلمين فى حربهم ضد التتار، وفى لهيب المعركة رفع راية الإسلام، طالبًا النصر أو الشهادة حتى دهش غازان خان، التتار من هؤلاء القوم الذين يقدمون بأنفسهم على الموت. فداءً للإسلام والمسلمين وبعد أن بهت غازان إستدعى رجال الدين بدولته ليبصروه عن أى عقيدة هؤلاء المسلمين يدافعون وقال فى نفسه أنه والله دين الحق ووصل به الأمر فى النهاية بعد تفكير عميق وعلى يد بعض الدعاة ورجال الدين المسلمين أن دخل غازان الإسلام بل وجعله الدين الرسمى لدولته، وتسمى بالسلطان محمود ملك العراقيين

وخراسان وفارس والجزيرة والروم، فاقتدى به من جاء بعده من ملوك التتار، وبهذا كان لسلار وجنوده فضل عظيم ودور لا بأس به، في أن يعيد خان التتار غازان حساباته، وعرف أنه كان يقاتل أناس دينهم الإسلام ودولتهم دولة الحق(١٢٠).

هكذا نصر سلار الإسلام على التتار بنى جلدته، فنزوى لنا المصادر، أنه عندما هاجم غازان خان التتار بلاد الشام في سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م كان السلطان الناصر محمد قاصرًا ولم يبلغ من العمر أكثر من أربعة عشر عامًا، وكان أصحاب الأمر في الدولة هما: الأميران سلار وبيبرس، فاستعد سلار نائب السلطنة وبيبرس أتابك العسكر، في ذلك الوقت للتصدى لهذا الخطر، الذى داهم الدولة في ظروف غير مواتية، إلا أن قلة المال كانت تحول دون ذلك، فرفع بيبرس الأمر إلى سلار، الذى شق عليه ذلك، فاستدعى نائب الحسبة مجد الدين عيسى بن الخشاب. وطلب منه أن يأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العسكر المتجه لحرب التتار، فأحضر مجد الدين فتوى الشيخ عزالدين عبدالسلام، للملك المظفر قطز بأن يؤخذ من كل إنسان دينارًا، فرسم له الأمير سلار، بأخذ خط الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق، الذى أبى أن يكتب بذلك، فشق هذا، على الأمير سلار واستدعاه، وقد حضر عنده الأمراء وشكا إليه قلة المال، وأن الضرورة دفعته إلى أخذ مال العامة لأجل دفع التتار، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك، فامتنع، فاحتج عليه مجد الدين، وعرض عليه فتوى ابن عبدالسلام، للملك المظفر قطز، حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلى نسائهم وأولادهم، وحلف كل منهم أنه لا يملك سوى هذا، وكان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد، وأما الآن، فعلمى أن كل الأمراء لديهم مال جزيل ومنهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ويعمل الإناء الذى يستنجى منه في الخلاء من فضة ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر وقام عنهم، فلم يكن أمام الأمير سلار بدًا من أن يطلب ابن الشيخى، الذى كان آنذاك متولى القاهرة، «ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله»، أما قاضى القضاة الشيخ تقى الدين، فقد كان مطمئنًا على أداء واجبه، حيث خرج بعد أن خيم السكون على مجلس الأمراء والعلماء دون أن يجيز هذه الفتوى(١٢١).

وانتظر العسكر النفقة فيهم، فاجتمع الأمراء لذلك، فلم يوافقا سلار وبيبرس على النفقة خوفًا من إتلاف بيت المال وقررا تأخيرها إلى غزة، فلم ترضى بقية الأمراء بذلك وانفضوا على غير رضى. فانتظر الأمير سلار حتى انتهى من كافة التجهيزات وتوفير

نفقة العسكر، وفي رجب سنة ٦٩٨هـ/ أبريل ١٢٩٨م، خرج الأمير سلار على رأس الجيش وبرفقته السلطان الناصر محمد، والأمير بيبرس الجاشنكير، الذى كان آنذاك أتابك العسكر، والخليفة المستكفى بالله، إلى بلاد الشام، للتصدى لغازان خان التتار، ولما وصل الأمير سلار، منزلة الصالحية، بلغه أن غازان عاد بعساكره إلى بلاده، فكلم الأمير سلار السلطان الناصر محمد فى عدم سفره، ورجوعه إلى مصر، فوافق السلطان على ذلك على شرط، عدم رجوع العسكر ومواصلة السير تحت قيادة سلار، وأقام السلطان بمنزلة الصالحية وسافر سلار بالعساكر إلى الشام، وكان غالب الأمراء فى خدمته، وكان من بينهم الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى، نائب صرخد، آنذاك والذى كان قد سبق له أن تولى السلطنة فى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣م، وعزل منها فى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، مما يدل على عظمة منزلة سلار ومهابته، ونزل الجيش بالمرج، وبعد ذلك، خلع سلار على الأمير أرجواش المنصورى نائب قلعة دمشق باستمراره على عادته وشكروا له الأمراء ما فعله من حفظ القلعة، فلما كان شهر رمضان/ يونيو من نفس السنة، عاد الأمير سلار إلى مصر بجميع أمراء مصر وعساكره، وتفرق باقى الجيش كل واحد إلى محل ولايته، ودخل سلار مصر بمن معه فى شوال/ يوليو، وبعد أن احتفل الناس بعودتهم، خرج أمراء مصر إلى بلبيس، وخلع السلطان الناصر محمد، على جميع من قدم من الأمراء الذين كانوا برفقة سلار، وكانت خلعة سلار أعظم من الجميع(١٢٢).

وفى سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، تكرر هجوم غازان خان التتار على بلاد الشام، مما دفع الأميران، سلار وبيبرس للخروج لمواجهة غازان فى رجب / مارس، من نفس السنة، ولما وصل الأميران إلى دمشق، تقابلا مع الأمير قبجق ومن معه، وترجل كل منهم لصاحبه وتباكوا، ثم توجهوا إلى حماة ومنها سير الأمير سلار، عسكرًا من المماليك السلطانية إلى حلب، ثم تبعهم بعد ذلك بفترة وجيزة، فطرقها على غفلة وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان بجنوده. وبعد ذلك خلع الأمير سلار على الأمير أرجواش نائب قلعة حلب وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم، وعاد سلار إلى مصر على رأس العسكر بعد استقرار الأحوال فى بلاد الشام فى نفس السنة(١٢٣).

كذلك خرج الأمير سلار فى أول المحرم سنة ٧٠٠هـ / سبتمبر ١٣٠٠م، على رأس الجيش وبرفقته السلطان الناصر محمد وبيبرس الجاشنكير والخليفة المستعين بالله، إلى بلاد الشام، لقتال غازان خان التتار، فلما وصل سلار إلى غزة اشتد حنق طائفة

الأويراتية، نتيجة استبداد أمراء البرجية بالأمور وعزموا على إثارة الفتنة، وصاروا إلى الأمير علاء الدين قطلو برس وأقاموه كبيرًا لهم، واتفقوا على أن الأمير برنطاى أحد المماليك السلطانية والأمير ألوص يهجم كل منهما على الأميرين، سلار وبيبرس ويقتلهما.

فلما رحل الأمير سلار بالعسكر من غزة ونزل تل العجول، ركب الأمراء للخدمة على العادة، وكان بيبرس يتأدب مع سلار ويركب بين يديه، فعندما ترجل الأمراء ولم يبقى على فرسه سوى بيبرس وسلار، شهر برنطاى سيفه وكان ماشيًا فى ركاب بيبرس وضربه فوقعت الضربة على كفل الفرس فحملت ظهره وضرب برنطاى ثانيًا فوقعت الضربة على الكفلة فقطعتها فتبارته السيوف حتى قتل، ووقعت الصرخة فى العسكر وركب الجميع وقصد الأويراتية الدهليز السلطانى وركب الأمراء فى طلبهم وفى ظنهم أن القصد قتل السلطان ونشروا العصائب ووقفوا، وعاد سلار وبيبرس إلى خيمتها، وأمر الحجاب والنقباء بجمع العسكر إلى خيمة الأمير سلار النائب، فبعث الأمير سلار إلى الأمير جاندار، بدر الدين كيكلرى المشرفى وقال له «ما هذه الفتنة التى تريدون إثارتها فى هذا الوقت ونحن على لقاء العدو؟ وقد بلغنا أن الأويراتية قد اتفقت على قتلنا، وكان هذا برأيك ورأى السلطان، وقد دفع الله عنا، فإن كان الأمر كذلك، فنحن مماليك السلطان، ونحن فداء المسلمين وإن لم يكن الأمر كذلك فابعثوا إلينا غرماءنا» فلما سمع السلطان الناصر محمد هذا بكى، وحلف أنه لم يكن عنده علم، بما ذكر وحلف أمير جاندار بدر الدين كيكلرى أيضًا. فرجع الأمير سلار إلى المدارة وركب مع الأمراء، وقبلوا جميعهم الأرض للسلطان وقبضوا على الأويراتية فاقروا بما عزموا عليه من قتل سلار وبيبرس، وقام سلار بشنق نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم، ونودى عليهم «هذا جزاء من يقصد إقامة الفتنة بين المسلمين(١٢٤).

وبعد القضاء على الفتنة، تقدم سلار إلى ملاقاة التتار، ولما كان السلطان الناصر محمد قاصرًا، لذلك كان سلار بمثابة السلطان وكان بيبرس هو قائد الجيش، وكانت عدة المسلمين حوالى عشرون الف فارس والتتار نحو مائة الف، فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان برأس الميمنة ويليهم الأمير بلباى الطباخى نائب حلب بعساكر حلب وحماة ووقف فى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقوش قتال السبع، وكان فى القلب سلار وبيبرس وبرلغى وعدة من الأمراء وقد جعلوا جناحهم المماليك السلطانية وعلى رأسهم الأمير عزالدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك. وخرج الأمير سلار النائب ومعه السلطان

الناصر محمد والحجاب والفقهاء، وداروا على العساكر كلها والفقهاء، تعظ الناس وتقوى عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء، وركب غازان وكانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتفدح نارًا، فتصدى له الأمير سلار ومعه بكتمر الجوكندار وبرلغي وسائر الأمراء البرجية. ولجأ التتار إلى خدعة حربية كان لها أسوأ الأثر على جيش المسلمين، إذ أذاعوا إشاعة كاذبة هى أنهم قد انتصروا، فهاج أهل دمشق وماجوا وأقبل السوداء الأعظم من الغوغاء على الخزائن السلطانية فكسروها، ونهبوا ما فيها من الأموال، وكشف النساء عن وجوههم. وأسبلوا شعورهم وضج الجميع بالدعاء وكادت العقول تشيط وتذهب عن مشاهدة الهزيمة، وكسر جيش المسلمين وخطب لغازان على منبر دمشق. وبات السلطان وسلار والجنود على ظهور الخيل والطبول تضرب، ورغم انكسار جيش المسلمين، إلا أن سلار كان أول من يحوم من خلال أقدام الجيش ويرتب ما تفرق من صفوفه، وسار بالجيش حتى التقى بجيش التتار بالقرب من دمشق فى منطقة «مرج راهط» أو «مرج الصفر»(١٢٥) وهناك كانت أم المعارك، فتقدم سلار بجيشه فى ٢ رمضان / ١٢ يوليو، نحو التتار الذين كان عددهم حوالى خمسين ألف بقيادة قطلو شاه، نائب غازان ملك التتار، وكان قطلوا شاه قد وقف على أعلى النهر، وصفت العساكر الإسلامية، فوقف سلار فى القلب ومعه السلطان وبجانبه الخليفة المستكفى بالله والأمراء بيبرس الجاشنكير وعز الدين أيبك وبكتمر الجوكندار. وأخذ الخليفة والقراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة وصار الخليفة يقول، يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم وقاتلوا عن دينكم ودين نبيكم محمد (صلى الله عليه وسلم). وعن حريتكم، وحريمكم والناس فى بكاء شديد ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض، ووصى سلار على الثبات فى الجهاد، وصاح سلار «هلك والله أهل الإسلام! وصرخ فى بيبرس وفى البرجية فأتوه دفعة واحدة، فأخذهم وصد بهم التتار وقصد سلار مقدم التتار قطلوا شاه وتقدم عن الميمنة حتى أخذت الميمنة راحة ولما رأى الأمراء بلاء سلار، ألقوا بأنفسهم على الموت واقتحموا الصفوف وكانت لسلار فى ذلك اليوم اليد البيضاء على المسلمين واستمر فى القتال إلي أن كشفوا التتار عن المسلمين.

إلا أن جوبان وقرمجى من طوامين التتار، قد ساقا تقوية لقطلوا شاه وعاينوا عنه الكسرة، ووقفوا فى وجه سلار وبيبرس، فخرج الأمير أسندمر وقطلو بك وقبجق والمماليك السلطانية، فتقوى بهم سلار وبيبرس وقاتلوا أشد قتال حتى أزاحوهم عن مواقعهم. وأما سلار فإنه قصد قطلواشاه مقدم التتار وصدمه بمن معه وتقاتلا وثبت كل

منهما، واستمر القتال بين التتار والمسلمين إلى أن توقفت كل من الطائفتين عن القتال. ثم مال قطلو شاه بمن معه إلى جبل قريب منه وصعد عليه وفى نفسه أنه انتصر، فلما صعد الجبل، رأي السهل والوعر كله عساكر مسلمين والميسرة السلطانية ثابتة أعلامها تخفق، فبهت قطلو شاه، وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه. وإذا بكوسات السلطان والبوقات قد زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها، فلما أدرك ذلك الأمير بولاى، خرج من تجاه قطلو شاه فى نحو العشرين الف ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هاربًا. واحتاط عسكر المسلمين بالجبل الذى بات عليه التتار، وصار سلار وأكابر الأمراء فى طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يوصونهم ويرتبونهم، ويؤكدون عليهم التيقظ وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس، واضطربت أحوال قطلو شاه بعد أن قتل من عسكره نحو ثمانين رجلاً وجرح كثيرًا واشتد عطشهم، مما دفعهم إلي النزول من الجبل، فلم يتعرض لهم أحد، وساروا إلى النهر فاقتحموه، فعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين، وكانت حربًا طاحنة، قام فيها الأمير سلار بدور بارز فى قتال التتار وأسدي بطولات خارقة بمنطقة شقجب (غباغب) التى التجأ إليها التتار، وأبلى فى قتاله بلاءًا عظيمًا حسنًا، ووضع رأسه على أحد كفيه وقلبه على كفه الآخر، وكان فى شجاعته أحسن قدوة لباقى الأمراء وألقى بنفسه على الموت، بل اشتهاه واقتحم الصفوف بقلب ملؤه الشجاعة والإقدام، وأخذ يخطب فى الأمراء، «إن من يخرج من الأجناد عن الصف فاقتلوه ولكم سلاحه وفرسه» فأيد الله تعالى بنصره جيش المسلمين الذين حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم، ووضعوا فيهم السيف ومروا فى أثرهم قتلا وأسرًا إلى وقت العصر، فكتبت البشائر فى البطائق، وسرحت الطيور، بهذا النصر العظيم إلى غزة، وكان هذا اليوم، يومًا لم يشهد مثله، وأصدر سلار أوامره بمنع المنهزمين من التوجه إلى مصر، وتتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ بهم لمعاقبتهم لأنهم استغلوا كسرة المسلمين وفروا هاربين من وجه العدو.

ولما استقرت الأحوال ببلاد الشام، خرج سلار وبيبرس بعسكر مصر من دمشق يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل فى٢٣ شوال / ١ يوليو من نفس السنة. وكان يومًا مشهودًا. وكتب الله للمسلمين النصر على أعدائهم من التتار.(١٢٦)

كذلك كان من الطبيعى أن يتصدى الأمير سلار للإضطرابات الداخلية فى مصر، ففى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م، انتهز الأعراب بإقليم قوص ومنفلوط إنشغال الدولة المملوكية بالحرب مع غازان خان التتار، خاصة وأن السلطان الناصر محمد، كان

قاصرًا، والدولة فى حيل من التنافس بين الأميرين سلار وبيبرس، كذلك كثر فساد الأعراب بالوجه القبلى وتعدى شرهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعاش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها شبه الجالية، واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج وحرموا الجنود والأمراء من إقطاعاتهم ونهبوا وسلبوا وقتلوا عالمًا، فقاموا بحركة قوية برئاسة قبيلة بنى تغلب، وعملوا على الاستقلال عن الدولة المملوكية وظلوا خطرًا يتحين الفرصة للقضاء على الدولة المملوكية، وتسموا بأسماء الأمراء وجعلوا لهم كبيرين سموهما سلار وبيبرس، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم، ونتيجة لتلك الحركة ظل بنو تغلب يحكمون الصعيد سنتين من أسيوط إلى منفلوط حكمًا مستقلاً. وعلى الرغم من التنافس بين سلار وبيبرس، فإنهم عندما أدركوا تهكم قبيلة بنى تغلب بهما، خاصة عندما تسمى أمرائها بسلار وبيبرس. كما أدركوا مدى خطورة هذه الحركة على كيانهما وكيان الدولة المملوكية، فاستدعى سلار الأمراء والقضاة والفقهاء وأهل العلم واستفتاهم فى قتال الأعراب، فأفتوا بجواز ذلك، فاتفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطريق عليهم لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز. وأخذ سلار فى إعداد العدة الكافية وعمد إلى التكتم والحذر فى إعداد الخطة اللازمة، وقرر مفاجأة الأعراب قبل أن ينظموا صفوفهم.

فاستدعى سلار، ابن الشيخى الذى كان آنذاك متولى الجيزة وغيره من ولاة الأعمال من الجيزة إلى أسوان وأمرهم بمنع الناس من السفر إلى الصعيد فى البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم. وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام فى حملة لقتال التتار وكتبت أوراق الأمراء المسافرين وهم عشرون مقدمًا، على حين كانت الاستعدادات على قدم وثاق للذهاب على رأس حملة كبيرة، تتألف من الأمراء والمقدمين إلى الصعيد واستقر الرأى علي تقسيم تلك الحملة إلى أربعة أقسام: قسم يتوجه فى البر الغربى من النيل بقيادة سلار، وقسم بقيادة بيبرس فى طريق الحاجز(١٢٧) فى البر الغربى كذلك إلى الواحات البحرية، أما الأمير بكتاش أمير سلاح فسار إلي الفيوم على رأس القسم الثالث، كما سار الأمير بكتمر الجوكندار فى البر الشمالى على رأس القسم الرابع، هذا بالإضافة إلى والى قوص الأمير طقصبا الذى اشترك فى تلك الحملة بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات.

وفى ٤ جمادى الآخر سنة ٧٠١هـ / فبراير ١٣٠١م، سار الأمير سلار ومعه جماعة من الأمراء فى البر الغربى، وانتظر حتى تقابلت الجيوش المملوكية، قرب منفلوط، فأمر

بعمل حلقة لتطويق الأعراب كحلقة الصيد، فطرق المماليك البلاد على حين غفلة من أهلها، فقد عميت أخبارهم عن أهل الصعيد، وأصدر سلار أمره بمنع قبيلة بنى تغلب ومن والاها من الأعراب من الفرار شرقًا وأن يضع المماليك السيف في الكبير والصغير والجليل والحقير ولا يبقوا شيخًا ولا صبيًا ويحتاطوا على سائر الأموال، ونجح هذا التدبير نجاحًا عظيمًا، ففوجيء الأعراب على حين غرة ووضع السيف فى رقابهم من الجيزة بالبر الغربى والأطفحية من الشرق إلى أعالى الصعيد، فلم يترك المماليك أحدًا حتى قتلوه ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا أن أخذوا ماله وسبوا حريمه، وإذا أدعى أحد الأعراب أنه حضرى قيل له قل دقيق، فإن قال بقاف العرب قتل. ووقع الرعب فى قلوب الأعراب. حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى واختفى كثير منهم بمقابر الجبال فأوقدت عليها النيران حتى هلكوا عن آخرهم وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع وحصل من أموالهم شيء عظيم جدًا تفرقته الأيدى وأحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل وستين حملاً ما بين سيوف ورماح. ومن الأموال على بغال محملة ما بين سبعين وثمانين بغلاً، ونحو أربعة آلاف رأس من البقر، وصار لكثرة ما جعل للأجناد والغلمان والفقراء، يباع الكبش الكبير الثمن من ثلاث دراهم إلى درهمين والمعزة بدرهم والجرة الصوف بنصف درهم والكساء بخمسة دراهم والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها.

وفى ١٦ رجب / ١٨ مارس من نفس السنة، وبعد استقرار الأحوال، أعطى سلار، لزعماء القبائل إقطاعات جديدة، ذلك لأن مشايخ الأعراب، كانت تقع عليهم تبعة حفظ النظام فى هذه الأقاليم، وكان من الطبيعى أن ينتصر المماليك فى آخر الأمر لأن الأعراب أخذوا على غرة ولم يأخذوا حذرهم أو يستعدوا لما أرسله الأميرين سلار وبيبرس من جند لإخماد حركتهم، وعاد سلار إلى القاهرة على رأس الجيش فى شعبان/ أبريل من نفس السنة واستقبل استقبال رائع، وركب السلطان الناصر محمد إلى لقائه وكان يومًا مشهودًا لا يقل فى أهميته عن يوم هزيمة التتار(١٢٨).

وبذلك نجح سلار فى إيقاع الرعب فى قلوب الأعراب والقضاء على فسادهم، حتى أنه لم تقم لهم قائمة حتى نهاية عصر المماليك. وبهذا فقد استحق بحق وعن جدارة لقب قاهر التتار وكاسر شوكة الأعراب فى مصر والشام.

# الفصل الرابع: ثروته وآثاره الحضارية

لقد بلغ الأمير سلار من الجاه والمال ما لا يزيد عليه، وقد أثرى ثراء كبيرًا، ولكنه كان شرًا عليه، فلم ينفعه، بل كان وبالاً ونقمة عليه، ولم يكن هذا بغريب، فقد كان سلار نائب للسلطنة حوالى إحدى عشر عامًا، فكان من أغنى أمراء المماليك وقارون زمانه لكثرة ثروته وماله(١٢٩).

ومع أن سلار لم يتربع على العرش، بل كان حتى سنة ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م أميرًا فقيرًا، إلا أنه بلغ درجة من الثراء، جعلت المؤرخ ابن اياس يتساءل عن مصدر ثروته الطائلة ومتى جمعها. حيث أنه توفى فى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م، أي أنه جمعها فى حوالى ست سنوات فقط، وقد حاول هذا المؤرخ تعليل هذا الثراء الفاحش بأحد أمرين، إما أن يكون سلار، قد عثر على كنز من كنوز القدماء، وإما أنه أخذ تلك الثروة من خزائن بيت المال عندما خرج السلطان الناصر محمد القاصر إلى الكرك بحجة أنه متوجه إلى الحج فى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م وعزل نفسه من السلطنة، وفوض الأمر للأميرين سلار وبيبرس، إلا أن مفاتيح بيت المال كلها كانت فى يد الأمير سلار بناءً

على طلب السلطان الناصر محمد[١٣٠].

لذلك جمع سلار من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر على ألسنة الناس انه كان دخله فى كل يوم مائة الف درهم، وفى أثناء الحوطة عليه تم العثور على أمواله فى أيام متعددة، أولها يوم الأحد، ١٦ جمادى الأول سنة ٧١٠هـ / ٢ اكتوبر ١٣١٠م حيث وجد له تسعة عشر رطلاً بالمصرى، زمرد وياقوت رطلان وبلخش رطلان ونصف وصناديق ستة ضمنتها جواهر وفصوص الماس وغيره من لؤلؤ كبار مدور مازنته درهم إلى مثقال، وألف ومائة وخمسون حبة ذهب ومائتان وأربعون الف مثقال دراهم، وأربعمائة وسبعون ألف درهم، وفى يوم الأثنين ١٧ جمادى الأولى/ ١٣ اكتوبر، وجد له مائة ألف دينار ذهب وألف درهم وخمسون الف فصوص، ورطلان ونصف مصاغ وعقود أساور، وزنود وحلق، اربع قناطير بالمصرى، وفضيات وأوانى وطاسات وهواويين وأطباق وغير ذلك ستة قناطير، وفى يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الأول / ١٤ أكتوبر، وجد له خمسة وأربعون الف دينار وثمانية الف درهم وأهله وصناديق، ثلاثة قناطير، وفى يوم الأربعاء ١٩ جمادى الأولى / ١٥ أكتوبر، وجد له ألف دينار وثمانمائة ألف درهم، وأقبية[١٣١] ملونة لفرو قاقام وثلاثمائة قباء، اقبية سنجاب، وأربعمائة قباب وسروج مزركشة، ومائة سرج، كما وجد عند صهره الأمير موسى، ثمان صناديق، وكان من جملة ما فيها جوانتيات مجوهرة سلطانية، وتركاش ما يقوم، ومائة ثوب وحش[١٣٢]، كذلك أحضر سلار صحبته بعد عودته من الشوبك بناء على أمر السلطان الناصر محمد، خمسون الف دينار وخمسمائة الف درهم وثمانمائة خلعة وخركاه[١٣٣]. أطلس معدنى مبطنة بأزرق بها زركش وثلاثمائة فرس، ومائة وعشرون قطار بغال ومثلها جمال[١٣٤].

وبعد موت سلار فى ١٦ جمادى الأولى سنة ٧١٠هـ / ١٢ أكتوبر ١٣١٠م وجد له فى داره، حوالى الف الف دينار، غير الجواهر والحلى والخيل والسلاح، ما لا يكاد يحصر، كما وجد له من الجوارى والغلمان والأملاك والعدد والقماش والأغنام والأبقار والجواميس والمماليك والعبيد ما لا يحصى، وقيل أن أحد مماليكه دل على مكان مبنى فى داره، فوجد حائطين مبنيين بينهما اكياس ما علم عدتها، وفى مكان آخر وجد فسقية ملآته ذهبًا منسكبًا، بغير أكياس هذا علاوة على أن دخل شونته فى العام كان حوالى الف أردب، وقد أمر السلطان الناصر محمد. الأمير سنجر الجاولى الذي كان صديقًا حميمًا، لسلار أن يتولى البحث عن أموال سلار وإخراج كنوزه، فنزل الأمير سنجر قصر سلار، الذى كان يقع بدرب قرمز بشارع بين القصيرين بالقاهرة وفتح

سردابًا تحت الأرض واخرج كنوز سلار من سبائك الذهب والفضة والجواهر واللجم المفضضة والفى قلادة وقد احتيط على موجود سلار إلى بيت المال(١٣٥).

أما عن اقطاع سلار فكان حوالى بضعة وثلاثين وقيل أربعين طبلخاناه، وكان ضمن هذا الاقطاع، إقطاع الكرك والشوبك، الذى توجه إليه سلار، عندما طلب من السلطان الناصر محمد أن يعفيه من منصب النيابة فأعفاه(١٣٦).

ومن ناحية أخرى تعكس لنا الأحداث التاريخية، مدى الثراء الذى بلغه سلار فتروى لنا المصادر المملوكية، أن ابنة سلار، جهزت بمائة وستين ألف دينار، عندما تزوجت من الأمير موسى بن الملك الصالح علاء الدين على بن سيف الدين قلاوون، الذى كان سلار من خواصه بعد موت الملك الصالح على، وقد مشى فى زفة ابنة سلار، الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء الذين حملوا الشمع وغيره، فقد حملوا إليها حوالى ثلاثمائة وثلاثين قنطارًا من الشمع(١٣٧)، وقد تعكس لنا هذه المصاهرة، مدى قوة صلة سلار بالبيت الحاكم من آل قلاوون، مما ساعد على زيادة نفوذه وعلو مكانته وقوة كلمته ومهابته للأمراء وغيرهم من دون الأمراء فى الدولة.كما تروى لنا المصادر المملوكية انه فى سنة ٧٠٢ هـ/ ١٣٠٣م عندما وقعت الزلزلة. وكان سلار بالحج. صنع من المعروف والإحسان إلى أهل مكة والمجاورين وغيرهم، فحمل عشرة آلاف أردب، وفرق غالبها، ووافى ديون غالب من بمكة من ماله الخاص، حتى يقال انه كتب أسماء جميع من بمكة ساكنًا، و أعطى كل منهم قوت سنه، وكذا فعل بالمدينة المنورة، ثم سار سلار إلى الحجاز ومعه نحو ثلاثين أميرًا منهم سنقر الكمالى الصاحب وعلم الدين سنجر الجاولى وغيرهم وتأخر سلار، بعد خروج الركب، وبعث إلى الحجاز فى البحر عشرة آلاف أردب غلة(١٣٨).

كل هذا يبين لنا مدى الثراء الذى نعم به سلار خلال فترة نيابته لكل من السلطان الناصر محمد والسلطان بيبرس الجاشنكير.

وقد كان سلار إلي جانب كونه سياسى محنك وفارس قدير، يدير شئون الدولة وفق مشيئته، له آثاره الحضارية التى أشادت بها بعض المصادر المملوكية التى أرخت لتلك الفترة من حكم سلاطين المماليك فى مصر والشام، ويأتى على رأس هذه الآثار التحف الفنية الزجاجية المتمثلة فى مشكاة سلار، حيث كان سلار مثل غيره من الأمراء المماليك الذين حرصوا على إقتناء الثمين من هذه التحف التى صنعت برسمهم، وقد أطلق علماء الآثار والفنون الإسلامية كلمة مشكاة على الإناء الزجاجى الذى يوضع فيه

المصباح وكان من فوائده حفظ نار المصباح من هبات الهواء وتحويلها إلى ضوء ينتشر[١٣٩]، ولقد وردت كلمة المشكاة فى سورة النور آية (٣٥) «لله نور السموات والأرض مثل نوره كمكشاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى»[١٤٠].

ومشكاة سلار، عملت برسم ترتبه أثناء نيابته للسلطان الناصر محمد، فى سنة ٧٠٣١هـ / ١٣٠٣م، لوحة رقم (١٠)، وهى محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة. تحت رقم ٢٨١، وهى مذهبه ومموهة بالميناء المتعددة الألوان، وقد اقتصر الفنان على زخرفة كل من الرقبة والبدن بالنصوص التاريخية التى إلتزم بها بصفة خاصة فى جميع مشكاوات بداية القرن ٧هـ / ١٣م، وحتى الفترة الأولى من حكم السلطان الناصر محمد، ثم لم يتقيد بها بعد ذلك فى القرون التالية. وقد لجأ الفنان فى هذه المشكاة إلى الاستغناء عن حصر مقبض المشكاة داخل منطقة زخرفية، بتوسيع الجزء الأسفل من المقبض حتى يمكن استغلال هذه المساحة فى زخرفتها بشكل نباتى مبسط، لا تخلو من الجمال وقد اكتفى الفنان بزخرفة الرقبة والبدن فقط بالأشرطة الكتابية، كما شاع فى معظم مشكاوات العصر المملوكى، وقد اتسع الشريط الكتابى برقبة المشكاة التى إتسعت للنص كله دون حاجة إلى بتره واستكماله على البدن ونصه: «مما عمل برسم ترية العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه»[١٤١].

ويستلفت النظر فى نصوص مشكاة الأمير سلار، إن نصوصها مذهبة بخط الثلث على أرضية من الميناء الزرقاء، يظهر بها إعراب لبعض الحروف، إذ يلاحظ فتحه على حرف السين فى سلار، ثم شدة وفتحه فى حرف السين فى كلمة السلطنة، وإن جانب الخطاط أحيانًا الصواب، فجاء التشكيل أحيانًا فى غير موضعه، فمثلاً نجد ضمه على حرف النون فى كلمة نائب[١٤٢].

كذلك يوجد لسلار، لوحان من الخشب عليها كتابة أثرية مؤرخة ما بين جمادى الأولى ورجب سنة ٧٠١هـ / يناير ومارس ٢٣٠٢م تتضمن إنشاء مكان بأمر المقر العالى السيفى سلار نائب السلطنة المعظمة، لوحة رقم (٣) محفوظان بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحت رقم ٨٥١٠[١٤٣].

كما كان لسلار دور بارز فى حركة الإنشاء والتعمير الذى شهدها عصر سلاطين المماليك، نلمسه فى خانقاة سلار وسنجر الجاولى، اثر رقم ٢٢، وهى تقع الآن فى

شارع عبدالمجيد اللبان (مراسينا)، سابقًا المتفرع من ميدان السيدة زينب، لوحة رقم (٤) شكل (١) أنشأها سلار أثناء نيابته للسلطان الناصر محمد سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م. إلا أن هذه الخانقاة اقترن أسمها بالأمير سلار والأمير سنجر الجاولى، وقد اختلفت آراء بعض المؤرخين فى نسبتها إلى أى منها، أو من المؤسس الأصلى لها، ولم تفصح النصوص التاريخية المدونة على جدار الخانقاة إلى نسبتها إلى أى من الأميرين، ومن المرجح أن منشئها هو الأمير سلار، حيث يوجد مشكاة باسمه تحمل النص التالى، «مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى، سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة، عفا الله عنه» لوحة رقم (١)[١٤٤].

ويذكر المؤرخ السخاوى أثناء حديثه عن هذه الخانقاة «أن هذه المدرسة هى المعروفة الآن بجامع الجاولى بشارع مراسينا، وهى من منشآت أوائل القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، انشائها الأمير سيف الدين سلار الناصرى فى سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، وجددها الأمير سنجر الجاولى، فنسبت إليه»[١٤٥].

وقد أنشئت هذه الخانقاة للعبادة إلى جانب كونها بيتًا للصوفية على المذهب الشافعى، وأقيمت على الحافة الشمالية الغربية لصخرة المقطم المعروفة بقلعة الكبش، ومن الواضح إنه أمكن التغلب على صعوبات الموقع بمهارة فنية، وهى تشغل مساحة من الأرض غير منتظمة الشكل، تتألف من مدخل جانبى مرتفع، ومدفنين متجاورين على خط واحد فى المحور الشمالى والجنوبى الغربى، بطول ممر طويل مفتوح من الجهة الجنوبية ومغطى باقبية متقاطعة بنهايته الجنوبية صحن الخانقاة وايوانها الرئيس الكبير، كما توجد مئذنة مقامة على كتلة حجرية صلبة بين المدفن الجنوبى الشرقى، وسلم الخانقاة والمؤدى إلى مدخلها الرئيسى ومساحة خربة تضم بقايا خلوات للصوفية بالجانب الخلفى لصحن الخانقاة.[١٤٦] والواجهة عبارة عن جدار حجرى بسيط، يرتفع عن مستوى الطريق بها المدفنين والمئذنة المطلة على الطريق وبها أيضًا ست نوافذ، بكل مدفن ثلاثة، ويوجد أعلى الواجهة شريط محفور فيما يبدو لنص كتابى إلا أنه لم يدون عليه شىء. ويلاحظ أن هذه الواجهة يزينها من أعلى صف من الشرفات المسننة[١٤٧]. والمدخل الرئيسى يقع فى ركن المبنى الشمالى الغربى ويرتفع عن مستوى أرضية الطريق وهو داخل تجويف ضحل وارتفاعه بارتفاع الواجهة. خلف التجويف فتحه باب مستطلية[١٤٨]. يعلوها لوحة تأسيسية نقش عليها بأحرف نسخية بارزة نصها، «بسم الله الرحمن الرحيم» إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخشى إلا الله(١٤٩). عمل هذا المكان فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة ١٣٠٤م.(١٥٠) فوقها شباك مستطيل يشبه الشبكان بواجهة الخانقاة ويفضى الباب إلى دركاه بالواجهة الجنوبية الشرقية، للدركاه فتحة باب مستطيلة ترتفع عن مستوى أرضية الدركاه، وبالجهة الشمالية للدركاه تجويف يتقدمه جلستان صغيرتان. كما يوجد بالجهة الجنوبية فتحة باب يتوصل منها إلى الخانقاه عن طريق مرقي سلم وبنهاية الدرج بسطة يعلو سقفها فتحة. وفى الجهة الجنوبية الشرقية للبسطة مجاز صغير يعلو أرضيته عن مستوى أرضية البسطة فى الجهة الشمالية من فتحة باب تقضى إلى سكن علوى ومئذنة ويصدر المجاز فتحة باب تقضى إلى صحن الخانقاة(١٥١).

وللخانقاة مدخل ثانوى بقلعة الكبش طاقيته محمولة بمقرنصات، والصحن مستطيل الشكل، الجهة الجنوبية الشرقية للصحن بها اربع فتحات أبواب تفضى إحداها جهة الشرق إلى المدخل الثانوى للخانقاة(١٥٢). الفتحات الثلاثة الباقية فتفضى إلى حاصلين، أما الجهة الشمالية الغربية للصحن منها ثلاث فتحات، والشرقية مدخل الصحن والوسطى عبارة عن شباك يطل على ممر يتقدم مدفن سلار والجاولى والثالثة شباك أيضًا يطل على مساحة خربة وبالجهة الجنوبية ثلاث فتحات تفضى كل منها إلى مستطيل مقبى بالحجر أما العقد الأوسط يفضى إلى مزيرة. أعلى جدار الصحن عدد من الفتحات التى تخص مساكن الصوفية، يعلوها معالم شريط من الكتابات الجصية النسخية التى طمست معظمها عقب ترميمات حديثة، و الايوان مستطيل الشكل، ارضيته تعلو عن أرضية الصحن، يجاور الصحن إيوان الخانقاة وسقفه خشبى مسطح يشبه سقف الصحن لكنه ينخفض عنه وبالجهة الجنوبية الشرقية للإيوان محراب حجر(١٥٣) ويتقدم الايوان من الجهة الشمالية الغربية إضافة سقفها مقبى بالحجر يصدرها النافذة أعلى فتحة باب المدخل الرئيسى للخانقاة ويوجد بجهاتها الشمالية ملقف هواء يقابله بالجهة الجنوبية تجويف ضحل والممر ذو القبوات بالجهة الشمالية الغربية للخانقاة يتقدم مدفنى سلار والجاولى وهو على شكل مستطيل أرضه مفروشة ببلاطات من الحجر ويغطى سقفه اقبية حجرية. أما الجهة الجنوبية للممر شمال الداخل، فيوجد أربعة عقود ترتكز على دعائم حجرية وتطل على مساحة خربة. وبالجهة الشمالية يمين الداخل بابان وشبكان تخص المدفنين(١٥٤).

أما بقية القبة فمنقوشة بثمانى نوافذ تتبادل مع ثمانى حشوات مسدودة. العقود

الأربعة جهة الجنوب، فقد سدت جزئيًا بستائر حجرية،، ويوجد بين هذه الستائر أربع حشوات صغيرة مثبتة على الدعامات ويعلو جدار الممر والجدار الداخلى للقبة الحجرية صف من الشرافات(١٥٥).

وتوجد قبة سلار، بالجهة الشمالية يعلوها لوحة تأسيسة نقش عليها كتابة نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم» كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة الملكى الناصرى المنصورى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين، عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاثة وسبعمائة/ ١٣٠٤م، ويجاوز المدخل شباك مستطيل فوقه عقد عاتق وهو يفضى إلى داخل القبة وهى عبارة عن قاعة يصدرها محراب، لوحة رقم (٦)، ويتوسط حنية المحراب منطقة بها زخارف، أما طاقيته فزخرفت بأشكال هندسية، ويعلو المحراب أفريزان من الخشب، ويوجد بالجهة الشمالية الغربية للمدفن فتحتا بابين على شكل مستطيل يفضيا إلى مدفن سلار(١٥٨). ويجاور المدخل شباك شبيه بشباك مدفن سلار بالجهة الشمالية وللمدفن ثلاث فتحات شبابيك تطل على الطريق تضاهى تلك التى بقبة سلار(١٥٩).

أما مساكن الصوفية فتصل إليها عن طريق فتحة بالممر وفيه يجتاز مساحة خربة بها محراب بكتابات نسخية يتبين منها قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»(١٦٠) ويعلو المحراب رفرف بشرافات خشبية وتحته أذار به كتابات نسخية نصها قول الله تعالى «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور(١٦١). وللخانقاة منارة قاعدتها حجرية مرتفعة يعلوها طابقان، بالطابق الأول فتحات وبالدور العلوى النوافذ المزدوجة ويعلو جدار مربع المئذنة كتابة نسخية نصها: .

«بسم الله الرحمن الرحيم» فى بيوت أذن الله.... إلى قوله تعالى بغير حساب». ويلى الجزء المربع مثمن به ثمانية تجاويف بنهاية كل منها فتحة مستظيلة(١٦٢). ويتوج المئذنة خوذة رشيقة مضلعة من الجص(١٦٣). هذا وقد عنيت لجنة حفظ الآثار بالخانقاة منذ سنة ١٨٩٢م، فقامت بتخليتها من الجهة الغربية. كما قامت بإجراء اصلاحات من الداخل والخارج فى سنة ١٨٩٩، ١٩٠٩، فقوتْ مبانيها واصلحت رخامها وشبابيكها الحجرية والجصية والخشبية(١٦٤).

وإذا كانت النصوص التاريخية المدونة على جدار الخانقاة لم تفصح عن نسبتها إلى الأمير سلار، فمن المرجح أن الظروف التى حدثت بعد موت سلار، كادت تمحو اسم سلار، بل محته فعلاً، فعندما غضب السلطان الناصر محمد، على سلار، أصبح من غير اللائق، أن يذكر اسمه أو يشار إليه بأى أثر من آثاره، بعد أن جرده السلطان الناصر محمد من كل شيء، حتى إطلاق اسمه على الخانقاة التى بناها ثم جددها صديقه سنجر الجاولى، فنسبت إليه بجانب سلار، فأطلق عليها خانقاة سلار وسنجر الجاولى(١٦٥).

ومما يؤسف له أن المصادر المملوكية اشارت إلى قصر ورحبة سلار(١٦٦) إلا أنهما قد اندثرا، فقد كان قصر سلار يقع بدرب قرمز بشارع بين القصرين، بالقاهرة، ومكانة الآن جزء من الشمال الغربى بشارع التمبكشية بقسم الجمالية، بالقاهرة، كما كانت رحبة سلار أمام قصره لاستقبال القادمين ولاستراحة المارين عبر الطريق تجاه حمام البيسرى وكانت بدورها جملة الفضاء الذى بين القصرين ومكانها الآن بعض العمائر السكنية بشارع التمبكشية بقسم الجمالية بالقاهرة(١٦٧).

وإلى جانب ما قام به سلار من تشييد لبعض المنشآت المعمارية، كان له دور بارز فى القيام بأعمال الترميم والصيانة لما تهدم منها، ففى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م، تعرضت مصر لزلازال، عم ضرره جميع أنحاء مصر وتهدم على أثره العديد من المساجد والمبانى من بينها الجامع الأزهر، وجامع عمروبن العاص.

فا بالنسبة للجامع الأزهر، فقد قام الأمير سلار بناء على أمر السلطان الناصر محمد، بعمارة المسجد وتجديد مبانيه وما تهدم منها، وقد كان تاثير الزلازال فيه هينًا، فلم تستنفذ من سلار الكثير من المال والجهد(١٦٨). بينما تعرض جامع عمرو للإنهيار والسقوط وتشعثت أركانه وانفصلت أعمدته بعضها عن بعض، مما دفع السلطان الناصر محمد إلي أن يعهد للأمير سلار، بتعمير الجامع تعميرًا شاملاً، فأعتمد سلار على كاتبه القاضى بدر الدين بن الخطاب، الذى قام بهدم جزءًا من الجدار البحرى المحصور بين مؤخرة الجامع وبين الزيادة البحرية، وهو من سلم سطح الجامع إلى باب الزيادة البحرية الشرقية وأعاد السور إلى ما كان وأضاف إلى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذى هدمه عمودًا آخر وجلا العمد جميعها وبيض الجامع كله، وزاد فى سقف الزيادة الغربية، رواقين وبلط أرض الجزء الذى سقفه، ورأى بعد هذا، إن هناك بعض جوامع صغيرة، لا شهرة لها ولا أوقاف، ولا رجاء فى إصلاحها،

فهدمها كلها وأخذ ما فيها من الأعمدة ونقلها إلى جامع عمرو، ليملأ صحنه، وخلع من أرضية هذه الجوامع أكثر ما كان بها من الألواح الرخامية الطويلة ورصها جميعها عند باب الجامع المعروف بباب الشرابين، لتوضع فى جامع عمرو(١٦٩). والذى يهمنا من أمر هذه العمارة من الناحية الأثرية هو هدم جزء من الجدار الشرقى لمؤخرة الجامع المحصور بين الباب الشرقى وبين المنارة المستجدة غربيًا، ثم إعادة بنائه. وكان بالخارج محراب عليه زخارف جصية بديعة، ازالته هيئة الآثار أثناء ترميم الجامع فى العصر الحديث، وكان هذا المحراب مخصصًا للمالكية، وكان يعرف بمحراب سلار، لوحة رقم (٢)(١٧٠)، ويرجع هذا المحراب وبعض الشبابيك الجصية إلى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م لا إلى عهد بيبرس البندقدارى كما هو السائد(١٧١).

وقد كان منقوشًا على هذا المحراب النص التالى «أمر بعمارة هذا المكان المبارك المقر العالى، السيفى سيف الدين سلار بن عبدالله الناصرى، نائب السلطنة المعظمة وكفيل الممالك الشريفة بالديار المصرية والشامية، بتاريخ سنة اثنتى وسبعمائة هجرية / ١٣٠٢م(١٧٢).

كذلك خلف لنا سلار تراثًا حضاريًا آخر نلمسه فيما أدخله سلار من تعديلات على الزى المملوكى، فقد استجد سلار فى أيام السلطان الناصر محمد أنواعا من الملابس المملوكية، عرفت باسم القباء السلارى(١٧٣)، هذا القباء «الفوقانى» أقصر من «التحتانى» ويكون طوله واكمامه اقصر بلا تفاوت كبير، وكان قبل ذلك عبارة عن بغلطاق(١٧٤) يزدان باللؤلؤ والجواهر، والقباء التحتانى من قماش أملس أطلس أيضًا، لونه أصفر، محلى بشعر سنجاب أو سنجبه ومبطن داخله وأطرافه بسجف(١٧٥). بفروقندس. ومنذ عهد السلطان الناصر محمد، شرع أمراء المماليك فى إرتداء هذه الأقبية السلارية، وأصبح من المألوف عمل «السلارى»، من ألوان مختلفة ومن خامات متنوعة، مثل القطن البعلبكى، من فراء السنجاب الرمادى، ومن الأطلس ذى الخيوط المعدنية، وكان يحلى أحيانًا بزخارف فخمة وأحيانًا اخرى تنثر اللآلئ والأحجار الكريمة(١٧٦). وظل ارتداء امراء المماليك للقباء السلارى حتى نهاية عصر سلاطين المماليك البحرية. وإلى جانب القباء السلارى الذى أدخله الأمير سلار، فقد أدخل سلار، نوعا من العمائم أو المناديل، عرفت بالمناديل السلارية، نسبة إليه أيضًا والتى ذاع استخدامها، كغطاء للرأس حتى نهاية عصر سلاطين المماليك البحرية أيضًا(١٧٧).

هكذا كان الأمير سلار نائب السلطنة، له من الإنجازات الحضارية ما لا يقل عن

إنجازات بعض السلاطين انفسهم، بل فاقت أعماله، أعمال بعضهم وصفوة القول. لقد كان سلار فارس قدير وسياسى بارع، ذو حس وتذوق فنى طوال فترة نيابته للسلطنة فى مصر زمن سلاطين المماليك.

# نهايته

عندما اشرف عهد السلطان بيبرس الجاشنكير على الإنتهاء وأذن بعودة الناصر محمد من الكرك إلى مصر ليتولى السلطنة للمرة الثالثة، اجتمع الأمير سلار نائب السلطنة بأحد المنجمين لمعرفة الطالع للوقوف منه على خروج جيش السلطان بيبرس لصد جيوش الناصر محمد القادمة من الشام إلى مصر لاسترداد عرشه، هل موافق الطالع الخروج أم لا؟ ولما كان الطالع على غير إرداتهم فى خروج الجيش، إلا أن سلار لم يلتفت لقول هذا المنجم وركب مع بيبرس يتحين الخروج(١٧٨)، ولكن سلار سرعان ما أدرك أنه لا طاقة لهما بمواجهة جيوش الناصر محمد المجتمعة من أمراء الشام، وذلك بسبب ما كانت تعانيه البلاد من فوضى واضطراب، فأحتاط سلار لنفسه، وظهر بُعد نظره وقوة حيلته، عندما أخذ يزين للسلطان بيبرس أن يخلع نفسه من السلطنة، ويكتب للناصر محمد كتابًا يرجو فيه الصفح ويلتمس تعينه فى أي مكان يتوجه إليه هو وأولاده ويعلن طاعته للناصر محمد، قبل أن يدهمها بجنوده، وعلى أثر ذلك أعلن بيبرس خلع نفسه من السلطنة مرغما(١٧٩). أما سلار فانه لم يظهر أى عداء للناصر محمد

وكاتبه بالطاعة، وأصدر أمرًا بإسقاط اسم بيبرس من خطبة الجمعة والعيدين وإعادة اسم الناصر محمد إليها، وأخذ يعد العدة لحسن استقبال الناصر محمد، فأطلق من السجون الأمراء والموالين للناصر محمد، وأغلق خزائن المال، وبذلك يكون قد احتفظ بالملك سليمًا، ريثما يعود الناصر محمد إلى مصر فيتسلمه، هذا إذا استثنينا ما نهبه بيبرس من مال وسلاح وتحف ومماليك، أثناء هروبه إلى الصعيد خشية بأس الناصر محمد بعد عودته إلى السلطنة والغدر به بعد تصفية حساباته معه عما وقع فى حقه منه أثناء ما كان الناصر محمد قاصرًا(١٨٠).

وفى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، خرج الأمير سلار لاستقبال الناصر محمد الذى عاد لإسترداد عرشه للمرة الثالثة، إلا أن هذه المرة كانت تختلف كثيرًا عن سابقتها، فقد عاد الناصر محمد إلى عرشه بعد أن إشتد عوده وأصقلته التجارب وحنكته الخبرات، فاستطاع أن يحكم القبض على زمام الأمور، فأسرع إليه سلار حتى دنا منه وتقدم إليه وقبل الأرض بين يديه، ثم طلب منه أن يعفيه من مهام منصبه بعزله من نيابة السلطنة وأن يسمح له أن يقيم بطالاً عن القاهرة فى إقطاعه بجهة الشوبك، وجزاء ما قدمه سلار من خدمات وما بذله من جهد لحفظ الملك للناصر محمد الذى لم ينس لحظة فضل سلار فى جهاده ضد التتار وكسر شوكة الأعراب وإدارة شئون الدولة سواء كان الناصر محمد قاصرًا أم بعيدًا عن الحكم أثناء سلطنة بيبرس الجاشنكير، لكل هذا، أعفى الناصر محمد، الأمير سلار من نيابة السلطنة حسبما أراد سلار ومنحه خلعه العزل(١٨١)، إلا أنه أمره أن يتوجه إلى الشوبك نائبًا عن السلطان الناصر محمد بها وليس بطالاً، فنهض سلار شاكرًا وداعيًا للسلطان الناصر محمد بفضله عليه وعرفانًا منه لرد الجميل إليه. فتوجه سلار هو وأمرائه وجماعته إلى الشوبك إلا أنه ترك ولده ناصرًا مقيمًا بالقاهرة طبقًا لأوامر السلطان الناصر محمد الذى أنعم عليه بأمرة عشرة، وبذلك انتهت نيابة سلطنة الأمير سلار فى ٢ شوال سنة ٧٠٩هـ/ ٦ مارس ١٣٠٦م. بعد أن مكث بها حوالى أحد عشر سنة، ثم عين السلطان الناصر محمد عوضًا عنه الأمير بكتمر الجوكندار نائبًا للسلطنة(١٨٢).

وإذا كان لنا أن نتساءل لماذا لم يذهب ابن سلار، ناصرًا معه إلى الشوبك؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب علينا أن نغوص فى نفسية السلطان الناصر محمد، الذى كان بالطبع يكمن فى نفسه شيء لسلار، ولكن أجله إلى حين، فقد كان السلطان الناصر محمد يخشى سلار لقوة بأسه ودهائه، فهو يخشى تآمر سلار عليه هو وجماعته، كذلك

كان صعب على السلطان الناصر محمد أن ينسى لسلار مواقفه معه أثناء ما كان قاصرًا ولا حول له ولا قوة وسلار يدير أمور ملكه. من هنا ظهر بعد نظر وقوة حيلة السلطان الناصر محمد، عندما احتفظ بابن سلار قريبًا منه بالقاهرة كرهينة إذا حدث فى الأمور أمور تدين سلار، وبالفعل صدقت ظنون السلطان الناصر محمد وشكوكه، عندما نما إلى علمه بعد فترة قليلة أن أخوين سلار، سمك ولاجين وبعض أتباعهم يدبرون مؤامرة لاغتياله، بعلم من سلار، فأسرع السلطان الناصر محمد واحتاط لنفسه وأمر بالقبض على سمك ولاجين أخوين سلار، كما أمر بالقبض على ابن سلار ناصرًا وعلى طائفة من اتباع سلار، ثم أرسل إلى سلار يستدعيه فتملص سلار من الحضور إلى السلطان الناصر محمد، خشية على نفسه وعزم على الهروب من الشوبك التى كان نائبًا بها عن السلطان الناصر محمد.

وبذلك لم يمكث سلار فى منصبه الجديد طويلاً، وأخذ السلطان الناصر محمد يلح على سلار فى الحضور إليه ويرسل له الرسالة تلو الأخرى ولكن دون جدوى، وأخيرًا أرسل إليه يأمره بالمسير إلى حماة ليكون نائبًا بها بدلاً من الشوبك وأمر نائبها أسندمر بالمسير من حماة إلى دمشق، وأن يخلى حماة لأجل سلار، إلا أن سلار رفض نيابة حماة، ولما ترددت المراسلات بينه وبين السلطان الناصر محمد وضيق الخناق عليه نزح سلار عن الشوبك وتوجه نحو تبوك وضل الطريق داخل بريه تبوك. فندم وانتابته الحسرة على نفسه فيما وصل به الحال، فأرسل آخر رسالة منه إلى السلطان الناصر محمد، يطلب منه الأمان، وأن يسمح له أن يقيم بالقدس بطالاً يعبد الله عز وجل وأن يعفيه من مشقة الحضور إليه، فأرسل إليه السلطان الناصر محمد رسالة يجيبه فيها إلى طلبه(١٨٣). ثم تشاغل السلطان الناصر محمد عن سلار فترة قصيرة، ولكنه أصر هذه المرة على حضور سلار فأرسل إليه يطلبه، فتردد سلار فى الذهاب إليه كعادته، لأنه أحس أن ساعة القصاص قد دنت، وخطرت له فى تلك الآونة افكار شتى، يتفادى بها لقاء السلطان الناصر محمد، فأشار عليه جماعته بالفرار إلى الحجاز أو إلى برقة أو إلى اليمن أو حتى إلى بلاد التتار لينجو بحياته، إلا أن سلار لم يفعل ذلك، وخرج من حيرته، بقرار السفر إلى السلطان الناصر محمد، لكى يبرىء نفسه، وقال: «يفعل الله ما يشاء»، ليثبت للسلطان الناصر محمد أنه أبعد ما يكون عن المؤامرات(١٨٤).

وفى أول ربيع الآخر سنة ٧١٠هـ/ اغسطس ١٣١٠م، وصل سلار إلى القاهرة، وبمجرد ما دخل على السلطان الناصر محمد، أمر السلطان بالقبض عليه وأودعه

بالبرج من سجن القلعة، وبعد يومين، طلبه السلطان الناصر محمد، وأخذ يعاتبه على ما فعله، وكان سلار بكل شجاعة ولا رهبة ولا توسل، يتنصل من كل تهمة توجه إليه وأن كل ما فعله كان من أجل مصلحة البلاد وحفظ الملك للسلطان الناصر محمد أثناء ما كان قاصرًا، ولكن السلطان الناصر محمد أمر بأن يترك سلار مسجونًا، وأن يحرم من الطعام والشراب،.... وقيل أن السلطان طلبه وأمر أن يبنى عليه أربع حوائط فى مجلسه، وأمر الا يطعم ولا يسقى، ويبقى على هذه الحال سبعة أيام وقيل إثنى عشرة يومًا. ولما اشتد عليه الم الجوع والعطش، أخذ يطلب الطعام والشراب، فلا يجاب إلى طلبه «وقيل أن السلطان أرسل إليه طعامًا توجس منه خيفة فرفض أن يقربه»[١٨٥] ولما اشتد الم الجوع بسلار أكل سر موزته، فلما علم السلطان الناصر محمد بذلك، أرسل إليه ثلاثة أطباق، بعث منظرها الأمل فى نفس سلار، ولكنه عندما كشف عنها، وجد فى واحد منها ذهبًا، ووجد فى الثانى فضة، ووجد فى الثالث لؤلؤ وجواهر، فاشتد غمه ومات بعد قليل، ولعل السلطان الناصر محمد فعل ذلك ليعطى لسلار درسًا فى أن كنوزه التى جمعها لم تنفعه ولم تحول بينه وبين قدره المحتوم، ولعل درس السلطان الناصر محمد، لم يكن لسلار فحسب بل كان درسًا للبشرية جمعاء. وقيل أن بعض الأمراء دخلوا عليه فى سجنه وقالوا له، «لقد عفا السلطان عنك»، فنهض سلار من الفرح ومشى خطوات، ثم سقط ميتًا فى يوم الأحد ١٦ جمادى الأولى سنة ٧١٠هـ/ ١٢ اكتوبر ١٣١٠م، من شدة الم الجوع والعطش[١٨٦].

وبعد موت سلار، عهد السلطان الناصر محمد إلى صديق سلار، علم الدين سنجر الجاولى بأن يتولي خزانة سلار وجنازته، فقام الجاولى بدفن سلار بتربته التى أنشأها لنفسه قبل وفاته والموجودة الآن داخل خانقاته الى لا تزال واقعة بالقرب من جامع أحمد بن طولون والتى تطل على شارع مراسينا بالسيدة زينب[١٨٧].

وبهذا انتهت حياة الأمير سلار نائب السلطنة والذى نال من سعادة الدنيا مالا يوصف ولكن مات البائس يتحسر على الخبز اليابس، فلم تنفعه ثروته، بل ربما كانت شرًا عليه. ولم يكتف السلطان الناصر محمد بذلك، بل عمل على الانتقام من كل أسرته لكى يذيب ما فى نفسه من الغيرة والحقد على سلار، فعندما قام بروك البلاد (الروك الناصرى) روكًا عامًا فى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، ارتجع الرزق من أوقاف خانقاة سلار من واضعى اليد عليها من ورثة سلار وأخرج ما هو باسم سلار، ولم يدع من ذلك شيئًا مما أوقفه سلار حتى حله، كل ذلك فعله السلطان الناصر محمد، بحجة أن سلار

أثناء نيابته، ارتكب فى حق صغار المماليك ظلم فاحش عانى منه معظمهم، إذ زاد فى إقطاعات جنوده من المماليك زيادة كبيرة على حساب إقطاعات صغار المماليك(١٨٨).

وبذلك استطاع السلطان الناصر محمد، أن يتخلص من سلار ومن أسرته، حيث كان الناصر محمد يخشاه حقًا، ذلك أن سلار كان يثير حقد كل من حوله عليه بسبب ما كان يتميز به من ذكاء وحسن تصرف ومقدرة على التحكم فى الأمور، عن بعض أقرانه من الأمراء، حتى أنه فى الوقت الذى كان الأمراء يتخذون لأنفسهم رنوكا(١٨٩) لتميزهم عن بعضهم، وكان لون الرنك إما أبيض أو أسود، جمع سلار بين اللونين الأبيض والأسود معًا، لتميزه عن باقى أقرانه من الأمراء، ذلك أن الأمير لم يكن يمتاز عن غيره من الأمراء إلا باللون الذى كان يختاره لرنكه، على حد تعبير ابن تغرى بردى(١٩٠).

# الخاتمة

مما لاشك فيه أنه لم يستقيم لنا فهم شخصية الأمير سلار، دون أن نقف على العصر الذى نشأ ودرج فيه، بما تضمنه من أحداث، لنلم بتقاليد هذا العصر واتجاهاته، ونقف على ذوقه ومنطقه حتى يسهل علينا بعد ذلك تقدير أعماله تقديرًا صحيحًا والحكم عليه حكمًا تتحقق فيه النزاهة وعدم الإنحيان، ذلك لأنه من الخطأ البين، أن نحكم على رجال الماضى بمقاييس الحاضر وأن نزن أعمالهم وتصرفاتهم بنفس الميزان الذى نزن به اليوم أعمال وتصرفات المعاصرين لنا، ومرجع ذلك إلى أن أراء المرء وتصرفاته وأفكاره ومشاعره، إنما تؤثر فيها وتوجهها النظم والتقاليد والعادات السائدة فى المجتمع، فالمفاهيم تتطور، وما كان مقبولا فى عصر، قد يكون مرفوضًا فى عصر آخر، فلكى نكون منصفين فى أحكامنا واستنتاجاتنا، أو على الأقل اقرب ما نكون إلى الإنصاف فى الحكم على هذا العصر الذى نشأ فيه سلار، فلابد لنا أن نعود إلى الوراء حوالى ستة قرون أو تزيد، ونحاول أن نعيش فى هذا الماضى البعيد بعقلية أبنائه ومنطقهم، وهذا ما حاولناه. وإذا كان بعض المؤرخين قساة فى حكمهم

على سلار، فلم يروا فيه إلا رجلاً عنيفًا وغادرًا، فإننا مع تحفظنا أن سلار كان قاسيًا فى بعض تصرفاته، إلا أنه ينبغى أن نذكر حقيقة هامة، وهى أن سلار كان يتصرف بروح العصر الذى عاش فيه، والجو الذى تشبع به تشبعًا كاملاً.

فإذا أردنا أن نحكم على سلار، يجب علينا الا نحكم عليه بمعاييرنا نحن، بل بمعايير عصره هو، العصر المضطرب بالفتن والدسائس والمؤامرات، وإذا كانت للبطولة فى نظرنا الآن معانيها السامية ومثلها العليا التى تتفق ومبادىء الشرف والأخلاق، فإن البطولة فى الجو الذى عاش فيه سلار لم تحظ بمثل هذه المعانى، إذ لم تكن هناك غضاضة فى أن يخرج البطل أحيانًا عن قواعد المبادىء السابقة، وهو مع ذلك يثير إعجاب المعاصرين بشجاعته وفروسيته وقوته، وربما أخذ بعض المعاصرين بمبدأ أن الحسنات يذهبن السيئات، فتناسوا لسلار ذلاته فى سبيل ما اتصف به من شجاعة أرهبت أعدائه وأعداء العروبة والإسلام، أو ربما لم يجد المعاصرون فى تصرفات سلار شيئًا غريبًا غير مألوف.

ومهما يكن من أمر، فحسب سلار أن مؤرخى عصره أنفسهم، لم يروا فيه إلا بطلاً، أحكم قبضة أمور البلاد فى الداخل والخارج أثناء نيابته للسلطنة، وتصدى للتتار فى الخارج وكسر شوكة الأعراب فى الداخل، وقت ما كان السلطان الناصر محمد قاصرًا.

وأخيرًا، كانت نهاية الأمير سلار المؤسفة، هى خير دليل على ما اتسم به العصر المملوكى من القسوة والظلم والغدر والخيانة، لا رحمة فى هذا العصر لمن تدور عليه الدوائر.

# الحواشى

١. ابن تغرى بردى، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الايام والشهور، تحقيق، وليم بوير، كاليفونيا ١٩٤٢، جـ ٢، ص ٢٤٤.

٢ – المقريزى،. السلوك فى معرفة دول الملوك، تحقيق، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦، جـ١، ص ١٩٥٦.

٣ – الأويراتية أو العويراتيه، وهم طائفة التتار الذين ينتسب إليهم سلار، وهذه الطائفة فرت هارية من ظلم الملك غازان عظيم التتار وأتو إلى مصر فى سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م طالبين الدخول فى الإسلام وكان المقدم عليهم الأمير طرغاى زوج بنت هولاكو، وكان عدتهم نحوًا من عشرة الاف بيت من التتار، فأمر الملك العادل كتبغًا الأمير علم الدين سنجر الدوادارى أن يقابلهم. فجيء بهم إلى دمشق فانزلهم بالقصر من الديوان، المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ٢، ص ٢٢/ ٣٦/٣٩، ١١٧/١١٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٩٣٠، ص ٨، ص ٢٥٨؛ الباز العرينى، المماليك، القاهرة / ١٩٦٧، ص ٦١.

٤ ـ اميرشكار، شكار كلمة فارسية وهو الصيد، فالمعنى يكون أمير الصيد الذى يشرف على جماعة

الطيور الجوارح، السلطانية وكذلك كل ما يتعلق بالصيد وحيواناته وتسمى هذه الجماعة خواندارية وطعمدارية لإطعامها ومعلمين ربما لتعليمها الصيد وبازدارية لحملها الجوارح فى موكب الصيد، وكان يتبع أميرشكار ناظرًا من رجال القلم، الخالدى، المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الإنشاء، مخطوط مصور بمكتبة، جامعة القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٤٥، ورقة، ١٢٧، ابن شاهين الظاهرى، زبدة كشف الممالك، تحقيق، بول ريفن، باريس ١٨٩٤، ص ١١٥. ١٢٦؛ القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة لإنشاء القاهرة ١٩١٤ ـ ١٩٢٨، ص ٤ / ص ٢٢ / جـ٥، ص ٤٦١، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ض ١٨٤، هامش، (٥).

٥ ـ ابن حجر، الدرر الكامنه فى أعيان المئة الثامنة، تحقيق، محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦، جـ٢، ص ٦٧٩.

٦ ـ ابن حجر، الدرر، جـ٢، ص ١٧٩؛ الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن بعد القرن السابع، القاهرة، ١٩٢٩، جـ ١، ص ٢٦٨.

٧ ـ ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، تحقيق، محمد محيى الدين عبدالحميد، القامرة / ١٩٥١، جـ ١، ص ٣٧١، ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ص ١٨١.

٨ ـ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥١ هـ، جـ ٦، ص ١٩.

٩ ـ ابن إياس، بدائع الذهور، جـ ١ / ص ١٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٤٤.

١٠ – ابن شاكر، فوات. جـ ١، ص ٣٧٠، ٣٧١.

١١ – أبو الفداء، المختصرة فى أخبار البشر، القاهرة، ١٩٠٨، ص ٤، ص ٣٣١.

١٢ ـ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٦، المقريزى، الخطط، جـ٢ / ٣٠٩؛ ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٢ / ص ١٩١.

١٣ – تاريخ سلاطين المماليك، نشر، زتيرشتين، لندن، ١٩١٩، ص ١٥٣؛ مفضل بن ابى الفضائل، كتاب النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق بلوشيه، منشور فى Pa-trologia Doicaitalis, XIV, PP. 631,623

١٤ ـ Berchem, Maxvan, MATIRIAUX POUR UN CORPUSUNSCRIPTION ANAR-ABICARUM, i, Egypte, MIFAO, t, XXI, Le Caire, 18894 _ 1903, p. 156' Mayer, LA, Soracenic Heroldry, CXford, 1933, p. 196.

١٥ ـ Wiet, G, Lampes et bouteilles enverre amaille, Catalogue genernal du Muree Arabe du Caire, Le Caire, 1929, P. 24;

حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦، جـ ٣ ص

١٢٣٣، مايسه محمود داود، المشكاوات الزجاجية فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٨٧١، ص ٣١، ٣٢٥.

١٦ - Repertior, Chronalogique d'epigraphic arabe, i, XIV, Le Caire, 1931, _ 1982, p.43.

١٧ - Berchen, Van,Corpus, XXI, p. 561; حسن الباشا، القاهرة وتاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٩٢٥، M. Ahmed, la mosquee de' Amr Ibn al _ As, Le Caire, 1939,p, 23.

١٨ - Sauvaget, Noms et surnoms de Mamelouks, J.A. CCXXVIII, 1950, Pp. 31 _ 58; عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر القاهرة، ١٩٦٧، جـ ٢، ص ٣٦.

١٩ – حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٩٦.

٢٠ - القلقشندى، صبح، جـ ٦، ص ٢٠.

٢١ - Weil, Jean Derid, Les lois a epigraphes jusqu'a le epoque du man louke catalogue gene rol du Masee Arbae Caire, Le Caire, 1931, II p. 112.

٢٢ - العمرى، التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٣١٢ جـ، ص ٦٥، ٦٦.
Lane - pool, Stanly, the Art of the Sarcons in Egypt, London, 1861, p. 29.

٢٣ - قرآن كريم، سورة آل عمران، آية رقم ٣٧.

٢٤ - العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق، أيمن فؤاد، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٥.

٢٥ – Weil, Jean Darid, Les bois, II,P. 112

٢٦ – محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٨، ٣٩.

٢٧ – ابن شاهين، زبدة، ص ١١٥؛ ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٢، ص ٢٢٨.

٢٨ - المقريزى الخطط جـ٢ ، ٣٠٩ ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ ٢، ص ١٩١.
Ayalon, L'esclanage du Mameluk., Je resamelm,1951, pp.18.19.

٢٩ - ابن شاهين الظاهرى، زبدة، ٢٧، ٨٦، ٨٧، المقريزى، الخطط، جـ ٢ / ص ٢١٣، ٢١٤.

٣٠ - ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٤٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، طبعة بولاق، ١٨٩٣ - ١٨٩٥، وطبعة بول كالة، محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٠ - ١٩٦٣، جـ ٢، ص ٩٠، الباز العرينى، المماليك، ص ٨٨، ٨٩.

٣١ - المقريزى، الخطط جـ ٢، ص ٣٤٦، ٣٤٧؛ الباز العرينى، المماليك، ص ٨٥، ٢٨٦، محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٧٦ عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، جـ ١، ص ١٥.

٣٢ - عن هذه الكلمة، انظر:

Dozy, R, Supplement aux dictonmaires arales, 2, paris, 1966, 413.

٣٣ ـ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ١٨١.

٣٤ ـ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤٢.

٣٥ ـ عبدالمنعم ماجد، طومان باى القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢١.

٣٦ – يسميه ابن شاهين، اسطبل الجوق، زبدة، ص ١٢٥؛ الباز العرينى، المماليك، ص ١١٤.

٣٧ – العمرى، التعريف، ص ٧٨؛ الخطط، جـ٢، ص ٢٢٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٩٣٠ ـ ١٩٧٢، جـ ٩، ص ١٦٧.

٣٨ ـ عبدالمنعم ماجد، طومان باى، ص ٢١؛ نبيل عبدالعزيز، الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٧.

٣٩ ـ عرفت بأسماء فارسية متعددة، مثل الصوالجة (الصوالج) والجوكان وتعرف باسم البولو Polo وهى كلمات تعنى المحجن أو المضرب، القلقشندى، صبح، جـ ٥، ص ٤٥٨.

٤٠ ـ المقـــريزى، السلوك، جـ ٢ / ص ٢؛ Deux jeux sportifs en Abd ar _ Razia, (Ahmad) Egypte au tempsdes Mamluks, Annales Isiamol ogiques, XII, 1974.p. 104.

٤١ ـ عبدالمنعم ماجد، طومان باى، ص ٢٢.

٤٢ ـ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ٣٤٧.

٤٣ ـ محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٧٥؛ الباز العرينى، المماليك، ص ٩٣، ٩٤

٤٤ ـ الخطط، جـ ٢، ص ٣٤٧؛ كلمة تركية، ولعل أصلها من الطاووس للتعبير عن الرجل الجميل، انظر الباز العرينى، المماليك، ص ١١٦. 'Dozy, Suppl. 2. p 67

٤٥ ـ أغاوات الطباق، ابن إياس، جـ ٣، ص ٣ تعنى الأخ الكبير أو أب ـEng. (art Agha), I,P. 184

٤٦ ـ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ١١، ص ١٨٣؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١٢٢؛ الباز العرينى، المماليك ص ١١٧.

٤٧ ـ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٣٤٨، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٧، ص ٦٥٠.

٤٨ ـ المقريزى، المخطط، جـ ٢، ص ٣٤٧.

٤٩ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٦، ص ٥٠٩.

٥٠ – ابن تغرى بردى، حوادث، جـ ٢، ص ٢٤٠؛ Ayalon, I'Esclanage, p.17. الباز العرينى، ص ١٢٤، ١٣٢.

٥١ ـ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٢٣٤، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٢ ص ٩٩، ابن إياس، بدائع، جـ ٣، ٦٨.

٥٢ ـ هى كلمة مصرية عن اللفظ بالفارسى خواجة تاس، أى زميل خدمة، وهى الخشداشية أو

الخوشياشية أو خشداشين والمفرد خوشداش، المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٢٨٨. هامش، (٣)؛ الباز العرينى، المماليك، ص ١٤١.

٥٣ ـ المقريزى الخطط، جـ ٢، ص ٣٤٧؛ ابن اياس، بدائع، جـ١، ١٣٣؛ جـ ٢، ص ٣.

٥٤ ـ عبدالمنعم ماجد، طومان باى، ص ٢٦؛ الباز العرينى، المماليك، ص ١٤٤.

٥٥ – ابن تغرى بردى، النجوم، ص ٣٢٢؛ الباز العرينى، المماليك، ص ١٤٥.

٥٦ ـ ابن شاهين، زبدة، ٩٩.

٥٧ ـ ابن إياس، بدائع، جـ ٢، ص ٣٤، ٣٥

٥٨ ـ محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٧٩.

٥٩ – المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٨٦.

٦٠ ـ ابن تغري بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٩٩، ١٠٠

٦١ – المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٣١.

٦٢ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ٨٣٣.

٦٣ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٦٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٢، ص ١٠٥، ١١٦.

٦٤ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٧٥، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٣٢.

٦٥ ـ القلقشندى، صبح الأعشى جـ ٤، ص ١٦ ـ ١٨.

٦٦ ـ الخالدى، المقصد الرفيع، ورقة، ١٢٤ أ ؛ ليلى عبدالجواد، نائب السلطنة فى القاهرة فى مصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصرى، العدد ١٠) يناير، ١٩٨٨، ص ١٦٨، ١٦٩.

٦٧ ـ العمرى، التعريف، ص ٦٥، ٦٦، ٩٢، ٩٣؛ القلقشندى، صبح، جـ ٤، ١٦، ١٧؛ جـ ٥، ص ٤٥٣، جـ ١١، ص ١٣٤؛ ابن شاهين، زبدة، جـ ١١٢؛ الخالدى، المقصد، ورقة، ١٢٤، ١١٢٥.

٦٨ ـ العمرى، التعريف، ص ٦٥، مسالك الإبصار، جـ ٥٤، ٥٦؛ الخالدى، المقصد، ورقة ١١٢٤، ١٢٥؛ ابن شاهين زبدة، ص ١١٢، القلقشندى، صبح، جـ ٤، ص ١٧٨٦؛ جـ ٥، ص ٤٥٣. جـ ٧، ص ١٥٤، ١٥٥؛ جـ ١٠، ١٤٨؛ جـ ١١، ١٣٥.

٦٩ – الثلثين، يراد به قطع الثلثين من الورقة ثلثا الطومار من كامل المنصورى وعرضه درجة ثلث ذراع بذراع القماش المصرى أيضًا، ويكتب فى هذا النوع من الورق مناشير الأمراء والمقدمين وتقاليد النواب الكبار والوزراء، وأكابر القضاة ومن فى معناهم، انظر، القلقشندى، صبح، جـ ٦، ص ١٩٠ / جـ ١١، ص ١٠٧.

٧٠ ـ العمرى، التعريف، ص ٦٥، ٦٦، ٩٢؛ القلقشندى، صبح، جـ ٤ ص ١٦، ١٨ الخالدى، المقصد ورقة ٢٤ أ؛ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

٧١ ـ العمرى، التعريف، ص٩٥، ٩٢؛ القلقشندى، صبح، جـ ٤، ص ١٦ ـ ١٨، زبدة. ص ١٢، الخالدى، المقصد، ورقة ١٢٤، ١٢٥ أ.

٧٢ ـ الصوة هى بقية النشز الصخرى، الذى بنيت عليه قلعة الجبل، ويمتد شمال القلعة فى المنطقة التى يتفرغ عندها الآن شارع باب الوزير من شارع المحجر، عند دار المحفوظات الحالية، القلقشندى، صبح جـ ٣، ص ٣٦٣؛ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٤٠١، ٤٠٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم جـ ١١، ص ٦٧، هامش (١)؛ بول كازنوفا، تاريخ وصف قلعة القاهرة، ترجمة، أحمد دراج، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٦٣؛ اسامة طلعت عبدالنعيم، اسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة حتى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٨٢.

٧٣ ـ باب القرافة، وهو أحد أبواب السور الجنوبى، عرف بذلك لأنه كان يفضى بالخارج منه إلى القرافة، وموضعه الجزء المتبقى إلى الآن من هذا الباب بميدان السيدة عائشة، اسامة طلعت عبدالنعيم، أسوار صلاح الدين ص ٩٤ ـ ٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨.

٧٤ ـ الجركاوات، وهى العسكر الجرار، انظر، إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١١٠.

٧٥ ـ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٦ ـ ١٨؛ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٨٤٣ ـ ٣٥٠.

٧٦ ـ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ١٦ ـ ١٨.

Lone - pool - stanley, the Art of the Sarcens in Egypt, london, 1961, p. 29.

٧٧ ـ العمرى، مسالك الأبصار، ص ٥، ٥٦؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٦ ـ ١٨؛ المقريزى، المخطط، جـ ٢، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

٧٨ ـ الخالدى، المقصد، ورقة ١٢٤ أ، القلقشندى، صبح، جـ ٤، ١٦ ـ ١٨.

٧٩ ـ القلقشندى، صبح الأعشى، ص ١٢، ٢٨٠.

٨٠ ـ النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، مخطط، بدار الكتب، رقم ٢٤٠، ١٧٩، جـ ٢٩، ورقة ٨٨ أ.

٨١ ـ العمرى، التعريف، ص ٩٢، ٩٣؛ القلقشندى، صبح، جـ ١٠، ١٤٨.

٨٢ ـ تاريخ سلاطين المماليك، نشرة زيترشتين، لندن، ١٩١٩، ص ١٥٣؛ مفضل ابن ابى الفضائل النهج السديد، منشور فى .P.O.XIV, pp., 633

٨٣ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٧٩؛ النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ورقة ٩٥/ ٩٦. مفضل بن أى الفضائل، النهج السديد، منشور فى .P.O.XiV,P 894

٨٤ ـ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق، برباره،

شيفرفيسبادن، ١٣٩٨ هـ ، ص ٢٨٠.

٨٥ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٧٩، بالنويرى، نهاية الأرب، جـ ٩، ورقة ٩٥، ٩٦؛ ابن أبيك، الدرر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق، هانى روبرت روير القاهرة، ١٩٦٠. ص ٢٠٩، ٢١١.

٨٦ – المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٧٩؛ النويرى، نهاية الإب، جـ ٢٩، وورقة ٩٥، ٩٦.

٨٧ ـ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ض ٣٠، ٣١ عن ابن الشيخى، انظر،

Abd ariq, Ahmed, le vizirot et les vizirs d' Egypt au temps des Mam _ Loks, Annales Tslamologiquest, 1980, p. 195. No, 24.

٨٨ – ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٧٣.

٨٩ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٧٠، ١٧١، ١٧٥.

٩٠ – النويري، نهـاية الأرب، جـ ٣٠، ورقـة / ١٨٤، ١٨٦ أ؛ ابن تغـرى بردى، النجـوم، جـ ٨ / ص ١٧٠، ١٧١.

٩١ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٢١، ٢٢٢.

٩٢ ـ ابن أبيك الدوراداري، الدرر الفاخر، ص ٢٠٩ ـ ٢١١.

٩٣ – ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٧٦.

٩٤ ـ بيبرس الدوادار، التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق، عبدالحميد صالح، بيروت / ١٨٧.

٩٥ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٨٠.

٩٦ ـ إلة الملك أو الات الملك، هى كل ما يستعمل من أسلحة، وأشياء يقتضيها البذخ والأبهة فى موكب ويطلق عليها أيضًا، شعائر المملكة، فكانت هذه الآلات، ترمز إلى طبقة المماليك على الخصوص، القلقشندى، صبح جـ ٤، ص ٩؛ ابن إياس، بدائع، جـ ٣، ١١٣.

٩٧ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٨٠.

٩٨ ـ ابن أيبك الدواداري، الدر الفاخر، ص ٥٨.

٩٩ ـ بيبرس الدوادار، التحفة الملوكية، ص ١٨٧، ١٩١، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٤١.

١٠٠ ـ زيترشتين، تاريخ المماليك، ص ١٥٣؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ٢٤٠ ـ ٢٤٣.

١٠١ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ٢٥٤، بيبرس الدوادار، التحفة المملوكية، ص ١٨٧، ١٩١.

١٠٢ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٢٧.

١٠٣ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٥٠.

١٠٤ ـ الشجاعى، تاريخ الناصر محمد، ص ٢٧٤، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٥٧.

١٠٥ ـ وكان الأمير سلار أجرد فى حنكه بعض شعيرات لأنه كان من التتار فسماء العوام دقين وكان

الناصر محمد به بعض عرج فسموه العوام الأعرج، وكان السلطان بيبرس لقبه ركن الدين فسماء العوام ركين»، ابن إياس، بدائع، جـ ١، ص ١٥٠.

١٠٦ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٢٧.

١٠٧ ـ ابن تغرى بردى. النجوم، جـ ٨، ٢٨، ٢٤٩، ٢٥٣، مفضل بن أبى الفضائل النهج السديد، منشور فى P.O. XIV, PP. 620 _ 633

١٠٨ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٧١، ٢٧٦؛ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ ٦، ص ١٩.

١٠٩ ـ ابن شاكر الكتبى، فوات، جـ ١، ص ٣٦٩؛ ابن حجر، الدر، جـ ٢١، ص ١٧٩.

١١٠ ـ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا السعودية، ١٩٧٢ ص ٣١٠؛ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ١٠. ١١

Abd ar. Razig, AHMED, Levizirat, p. 195, No.24.

١١١ – المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٢٦.

١١٢ ـ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٢٦، ٢٧، Abd ar. Razig, Ahmes, Levizirat, p. 196,

١١٣ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ١٠٩؛ النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩ ورقة، ٨٨ أ.

١١٤ ـ النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ورقة ٨٨ أ.

١١٥ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

١١٦ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ١٣٣.

١١٧ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٤٨.

١١٨ ـ المقريزى، السلوك ب، جـ ١، ص ٩١٥.

١١٩ – ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ١٧٩.

١٢٠ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ٩٥٦.

١٢١ ـ ابن ايبك، الدرر الفاخر، ص ١٥، ٣٩، المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٨٨٦، ٨٩٦.

١٢٢ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٣٨.

١٢٣ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٦٣٢.

١٢٤ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٦٣٢.

١٢٤ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ٨٨٥.

١٢٥ ـ مرج راهط، هو المرج أى الأرض الواسعة فيها بيوت ودور، وراهط هو موضع الغوطة من دمشق فى شرقها بعد مرج عذراء ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨ ص ١٥٩ أ هامش (١).

١٢٦ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٩٣٢، ٩٣٥، ٩٣٦، على إبراهيم حسن، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية والناصر محمد بن قلاوون، بوجه خاص، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

١٢٧ – المقصود بالحاجر، هذا الطريق الواقع على الجانب لوادى النيل بالوجه القبلى والفيوم والراجح انه سمى بذلك الاسم لوقوعه على شفة الوادى بمحازة، إحجار التلال، المقريزى، السلوك، جـ ١، ١٢١، هامش، (١)، ابن تغرى بردى، النجوم جـ ٨، ص ١٤١، هامش (٢).

١٢٨ ـ المقريزى، السلوك، جـ١ ص ٩٢٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ١٥٣؛ حنفى محمود خطاب، الحركات الداخلية فى الدولة الأولى، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٣٩، ص ١٥ ـ ١٧؛ محمود محمد السيد، تاريخ القبائل العربية فى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧. ص ١٠٣.

١٢٩ ـ حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٢٥.

١٣٠ ـ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ١٣٩، ١٥٦، ٤٣٦، ٤٣٨؛ محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٢٠٨.

١٣١ ـ اقبية، مفردها، قباء، وهو ملبوس (فرجية ـ قفطان)، وقد وصف المقريزى الأقبية على عصر المماليك بانها اما بيض أو مشهرة أحمر وأزرق، وهى ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الأفرنج، المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ١٦٠، وهى حرير عمل الدار ملونة بفرو سنجاب، ابن شاكر، فوات، جـ ١، ص ٣٧١.

١٣٢ ـ طرد وحش أنواع قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد، وكانت تصنع منه بعض الخلع السلطانية، سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكى، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤٣٢.

١٣٣ ـ الخركاه، بيت من خشب مصنوع على هيئة، مخصوصة ويغشى بالخوخ ونحوه يحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء اتقاء من البرد ابن شاكر، فوات، جـ ١، ص ٣٧٢.

١٣٤ ـ عن ثراء سلار، انظر، ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ص ٢٧٧؛ ابن شاكر، فوات، جـ ١، ص ٣٧١ ـ ٣٧٤؛ ابن إياس، بدائع، جـ ١، ص ٤٣٦، ٤٣٨.

١٣٥ ـ ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ص ١٨١.

١٣٦ ـ اقطاع طبلخاناه، هو اقطاع مائة فارس، أرقى مرتبة فى الجيش المملوكى، أبو الفداء، المختصر، جـ ٣، ص ٥٦، ٥٧. أما عن أمير طبلخاناه، فأى مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف فى مصر المملوكية، صاحبها يلى أمير مائة مقدم الف فى الدرجة، وسمى أمير طبلخاناه لأحقيته فى دق الطبول، على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئين ويطلق على أمير طبلخاناه، أيضًا أمير أربعين، بمعنى أن يكون فى خدمته أربعين مملوك وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو

ثمانين، المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٢٧٩؛ هامش: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ٢ ٩٥؛ إبراهيم طرخان، النظم الاقطاعية، فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ١٩٦٨، ص ٢٣، ٣٠، ٦٣، ٧٤، ١٤٩.

١٣٧ ـ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٩.

١٣٨ ـ المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٩٥٤، على بن حسن السلمانى، العلاقات الحجازية المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٣٣.

١٣٩ ـ حسن الباشا المشكاة، بحث منشور فى كتاب القاهرة. ص ٥٩١.

١٤٠ ـ قران كريم، سور النور، آية رقم (٣٥).

١٤١ ـ مايسه محمود داود، المشكاوات الزجاجية، ص ٢٢٥، ٢٣٥ WIEL, G. Lampes,p.24.Meuer, Saracence, P. 25.

١٤٢ ـ م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٢٤٢.

١٤٣ ـ Weil, Jean Darid, Les Bois, II, P.112.

١٤٤ ـ سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، ١٩٧٩، جـ ٣، ص ١٤٤.

١٤٥ ـ السخاوى، تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات، القاهرة، ١٩٣٨، ص ١١١.

١٤٦ ـ ابن تغرى بردى، النجوم جـ ٩، ص ١٩، دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس فى مصر، القاهرة ١٩٨٠، ص ٤٤.

Abouseif, Daris Behrens, Islamic Architecture in Caire, Anintro duction, Caire, 'american Univresity, 1989, pp. 101, 104.

١٤٧ ـ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٤٥.

١٤٨ ـ Hauteroeur & Wiet, les mosquees du Caire, paris, 1932, p. 106.

١٤٩ ـ قران كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٨.

١٥٠ ـ B erchem, Maxvan, Corpus, Egypte, p. 635.

١٥١ ـ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٤٦.

١٥٢ ـ دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس، ص ٨٦، ٨٧.

١٥٣ ـ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٤٧.

١٥٤ ـ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٤٨.

١٥٥ ـ دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس، ص ٨٨.

١٥٦ ـ قران كريم، سورة الرحمن، رقم الآية ٢٦، ٢٧.

١٥٧ ـ B erchem, Maxvan, Copus, Egypte, p. 635. Repertione, xiv, pp. 204, 245.؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، جـ ٣، ص ١٢٣٣.

١٥٨ ـ Cresweel, K.A.C. Abrief Charonology of the Mu hammadeam, XvI, P 86.

١٥٩ ـ كمال الدين سامح، تطور القبة فى العمارة الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الثانى عشر، الجزء الأول، ١٩٥٠، ص ٢١.

١٦٠ – قرآن كريم، سورة الحج، أية رقم ٧٧.

١٦١ – قرآن كريم، سورة آل عمران، اية رقم ١٨٥.

١٦٢ ـ قرآن كريم، سورة النور، اية رقم ٣٦ ـ ٣٨.

١٦٣ ـ دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس، ص ٩٦.

١٦٤ – لجنة حفظ الآثار، م ٨، السنة، ١٩٠٧، ص ٤٥.م ص ٤١، رقم ٢٢١.

١٦٥ ـ حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ ١، ص ١٢٤، ١٣٠.

١٦٦ ـ الرحْبة، باسكان الحاء، وفتحها الموضوع الواسع وجمعها رحاب، أعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير إلا بأن يبنى فيها فتذهب ويبقى اسمها ولو بنى فيها ويذهب اسمها وربما إنهدم بنيان وصار موضعه رحبه أو دارا أو مسجدا أو الغرض ذكر ما فيه فائدة، المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٤٧.

١٦٧ ـ المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ٣٨٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم. جـ ٦، ص ١٩، هامش (٢).

١٦٨ ـ حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٥٧،

Grenwell, K. A. G. Muslim Architecture in Egypt, !!,P. 38. Ahouseif, Dorio Behreno, Islemic Architexture, p. 60.

١٦٩ ـ ابن دقماق، الانتصار بواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٨٩٣، ص ٧٠، حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٦.

Greswell, K.A.C Ab rief chronology, XVI, pp. 41, 42.

M. Ahmed, la mosquee de' Amr, p.23.

١٧٠ ـ فهرس الآثار الإسلامية، رقم الأثر، ١٣١٩، محراب سلار بالوجهة الغربية لجامع عمرو، أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرية، ١٩٩٣، ص ٧٣.

١٧١ ـ حسن الباشا، القاهرة، ص ٤٢٥.

١٧٢ ـ Mayer, Saracenic, p. 196, No, 711; Repemtoire, XIV, P. 235, No, 5147; Greswell, K,A. C. Abrief Chronology, XVI, pp. 41,42.

١٧٣ ـ القباء، جمع أقبية، ثوب يلبس فوق الثياب، سمى بذلك لاجتماع أطرافه، العمرى، مسالك الأبصار، ص ٣٤؛ ووصف القباء السلارى بأنه قصير الطول والكم، انظر، المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ١٦٠ ,Dozy, Supplement, I,p. 6736

١٧٤ ـ بغلطاق، جمعها بغالطيق، وبغالطق، وهى لفظة فارسية، تعنى قباء له كم قصير، من قماش بعلبك، العمرى، مسالك الأبصار، ص ٣٤، هامش (٥)؛ ماير الملابس المملوكية ص ٤٤، هامش. Dozy, supple, p 101

١٧٥ – انظر Dozy, Supp le, I.p.43

١٧٦ – ابن أياس، بدائع، جـ ٣، ص ٣٥١؛ عبدالمنعم ماجد، نظم دولة المماليك جـ ٢، ص ٧.

١٧٧ ـ ابن إياس. بدائع، جـ ٣، ص ٣٥١؛ عبدالمنعم ماجد، نظم دولة المماليك، جـ ٢ ص ٧٦.

١٧٨ ـ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ ٨، ص ٢٩٦.

١٧٩ ـ ابن إياس، جـ ١، ص ١٥٤.

١٨٠ ـ ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ص ١٧٩، ١٨٠.

١٨١ ـ النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣، ورقة ١١٤، ١٥، ١١١٦؛ ابن أياس، بدائع، جـ ١ ص ١٣٩، ١٤٠.

١٨٢ ـ ابن حجر، جـ ٢، ١٨٢.

١٨٣ ـ ابن شاكر، فوات، جـ ١، ص ٣٧١؛ ابو الفداء؛ المختصر، جـ ٤، ص ٦٠.

١٨٤ – ابن حجر، الدرر، جـ ٢، ص ١٨٢؛ محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

١٨٥ ـ زيترشتين، تاريخ المماليك، ص ١٥٣، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ ٦، ص ١٩.

١٨٦ ـ ابن شاكر، فوات، جـ ١، ص ٣٧١.

١٨٧ ـ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ص ٩٥، ٩٧، ابن حجر الدرر، جـ ٢، ص ١٧٩، ١٨٢.

١٨٨ ـ ابن حجر، الدرر، جـ ١، ص ٥٠٧، ابن تغرى بردى، النجوم، ص ٧، ص ٢٦٧.

١٨٩ ـ الرنك، هو الشارة التى تدل على وظيفة الأمير التى يعتز بها أو يشغلها فعلا والرنوك خاصة بالأمراء. فإذا تأمر المملوك، أصبح له الحق فى أن يكون له رنكًا، ومنذ القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى، ساد استعمال الرونك فى الشرق والغرب معًا، فنقشت الرنوك على العصائب والتروس واشتهرت ببساطتها وخلوها من الزخارف، أحمد عبدالراوق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك مقال، بمجلة الجمعية التاريخية العدد ٢١١، ١٩٧٤، ص ٦٧.

١٩٠ ـ ابن تغرى بروى، النجوم، جـ ٩، ص ٨، ٩؛ احمدعبدالرازق أحمد، الرنوك، ص ٩٣.

# بيان اللوحات والأشكال

**اللوحات:**

١ ـ مشكاة سلار.

٢ ـ محراب سلار.

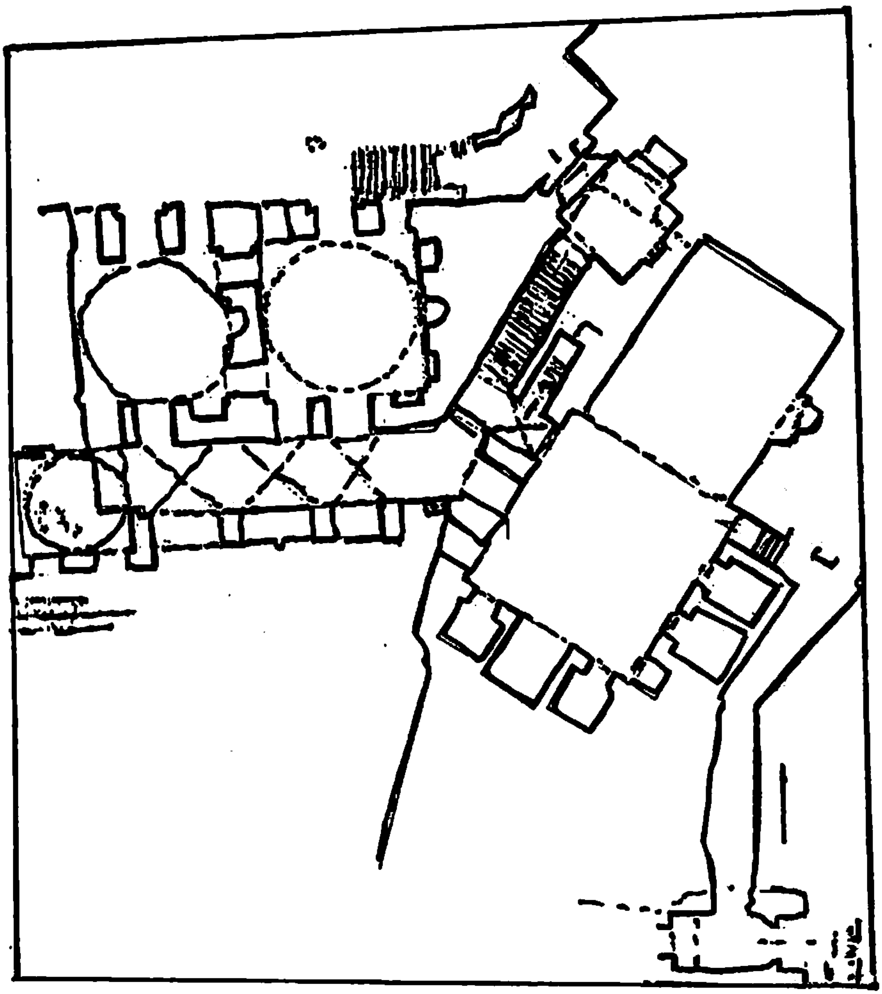
٣ ـ لوح من الخشب لسلار.

٤ – خانقاة سلار.

٥ – محراب قبة سلار.

*** الأشكال:**

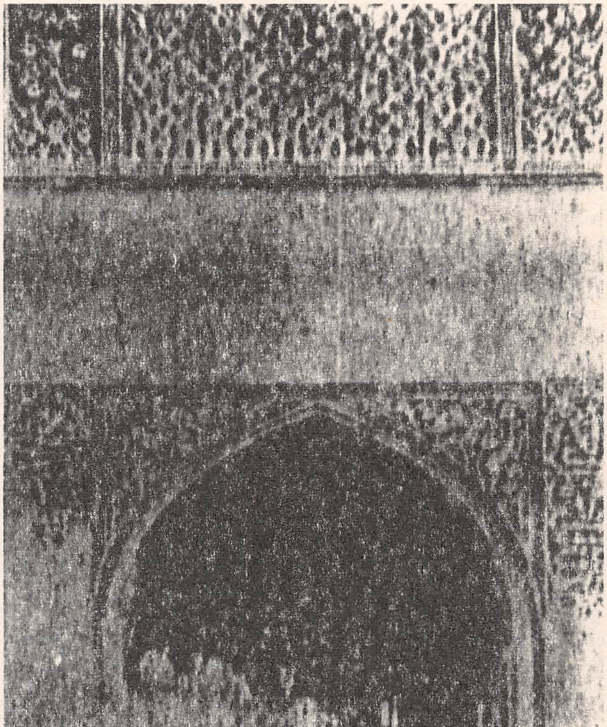
١ ـ خانقاة سلار، مسقط أفقى



خانقاة سلار، مسقط أفقى،
عن مركز تسجيل الآثار.
شكل (١)

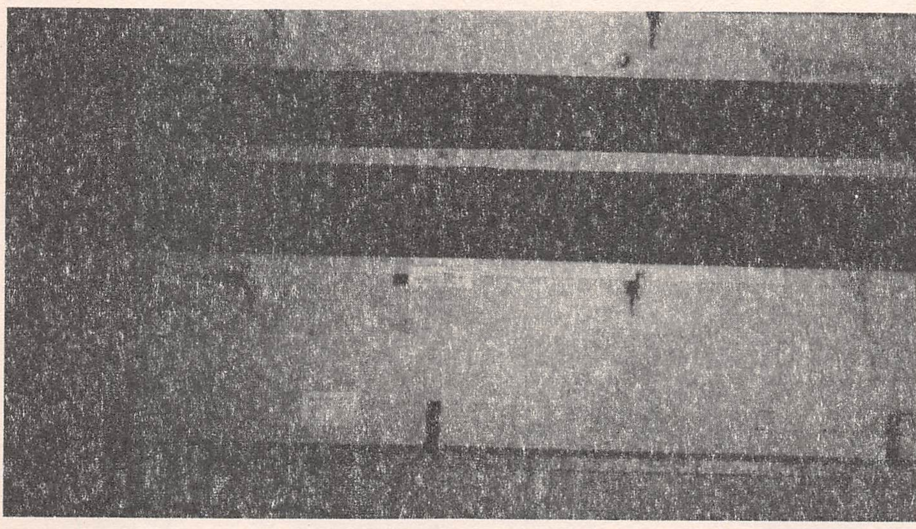


مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم الأمير سيف الدين سلار
سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م... تصوير الباحث
لوحة (١)

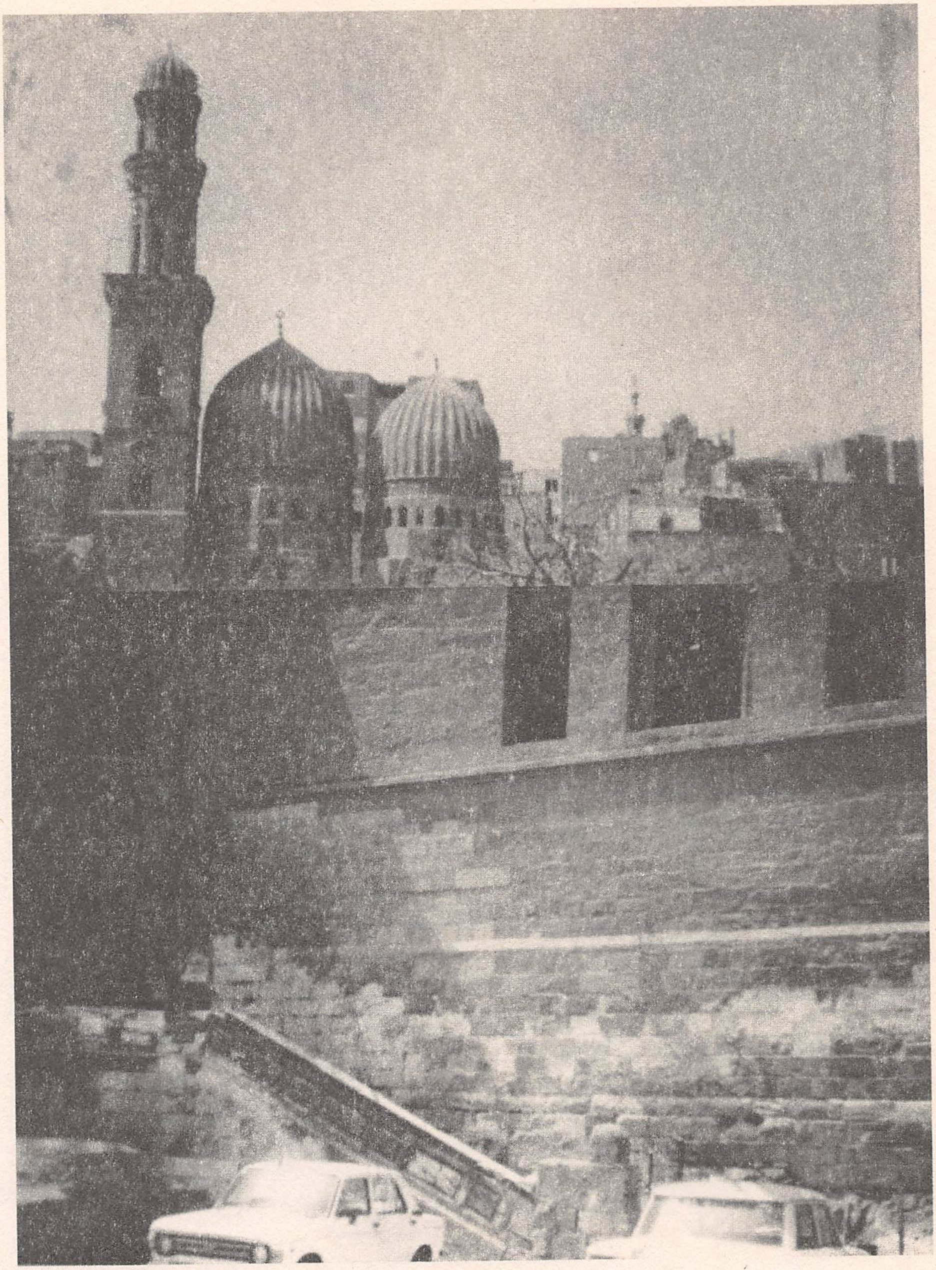


محراب الأمير سيف الدين سلار الذى ازالته مصلحة الآثار المصرية الذى كان موجودا بالواجهة الغربية بجامع عمروبن العاص سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٣م... عن فريد شافعى، العمارة الإسلامية فى مصر

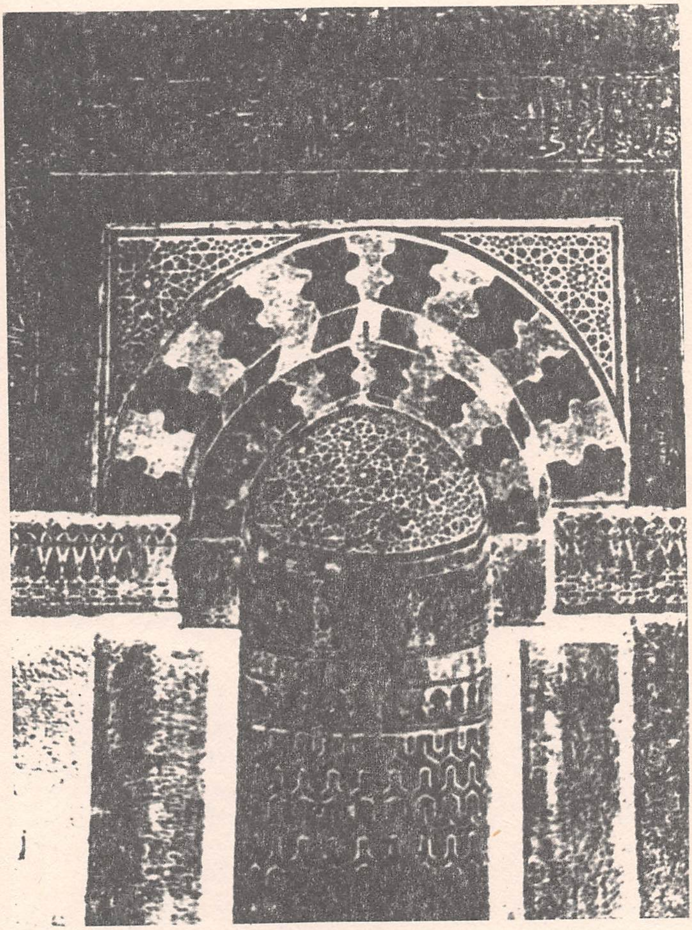
لوحة (٢)



لوح من الخشب مقسم إلى جزئين باسم الأمير سيف الدين سلار
سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠٢م... تصوير الباحث
لوحة (٣)



خانقاة الأمير سلار وسنجر الجاولى
سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م... تصوير الباحث
لوحة (٤)



محراب قبه سلار

سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م... عن حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الاثرية

لوحة (٥)

## ١ - ثبت المصادر والمراجع

### - المخطوطات:

- الخالدى، المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الإشاء، مخطوط مصور بمكتب جامعة القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٤٥.

- النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب المصرية (معارف عامة)، جـ ٢٨، تحت رقم ٤٢٧١٥؛ جـ ٢٩، تحت رقم ١٧٩٢٤؛ جـ ٣، تحت رقم ٧٠٢٥؛ جـ ٣٠، تحت رقم ١٧٩٢٣.

### المصادر المطبوعة:

- ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور طبعة بولاق، ١٨٩٣ ـ ١٨٩٥، طبعة بول كاله، تحقيق، محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣.

- ابن أيبك الدوادارى، الدرر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق، هانس روبرت رومير، القاهرة ١٩٦٠.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٣٠ ـ ١٩٧٢، ابن تغرى بردى، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق ولم بوير، كاليفورنيا، ١٩٤٢، ابن حجر، الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة. تحقيق، محمد محمد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦.

- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبدالواحد، ط ١، القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢.

- ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة ١٨٩٣م.

- ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٥١.

- ابن شاهين الظاهرى، زبدة كشف الممالك، تحقيق بول ريفز، باريس، ١٨٩٤.

- ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥١ هـ.

- ابن كثير، البداية والنهاية فى التاريخ، القاهرة ١٩٣٩.

- ابوالفداء، المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، ٧، ١٩، ١٩٠٨م.

- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٢.

- بيبرس الدوادار، التحفة المملوكية فى الدولة التركية، تحقيق، عبدالحميد حمدان، بيروت ١٩٨٧.
- تاريخ سلاطين المماليك، نشر، زيترتسنين، لندن، ١٩١٩.
- السخاوى، تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات، القاهرة، ١٩٣٨.
- الشجاعى، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق، بربارة، شيفرفيسبادن، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨.
- الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن بعد القرن السابع، القاهرة، ١٩٢٩.
- العمرى، التعريف بالمصطلح الشريف، مصر. ١٣١٢هـ.
- العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨٥.
- القلقشندى، صبح الأعشى، فى صناعة الإنشاء، القاهرة، ١٩١٤ ـ ١٩٢٨.
- مفضل بن ابى الفضائل، كتاب النهج السديد والدرر الفريد، فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق بلوشيه - Patrologia Orientalis, Vol, XII, XIV< IV, Paris, 1919 - 1920 - 1939.
- المقريزى، السلوك فى معرفة دول الملوك، تحقيق، جـ١، ٢، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦ ـ ١٩٨٥.

## ـ المراجع العربية:

- إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨.
- أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، مقال بجملة الجمعية المصرية التاريخية. العدد ٢١، ١٩٧٤.
- أحمد عبدالرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٣.
- إسامة طلعت عبدالنعيم، اسوار صلاح الدين، عصر سلاطين المماليك، ماجستير، كلية الاثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢.
- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦.
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، ١٩٥٧.

- حسن الباشا، المشكاة، بحث منشور فى كتاب القاهرة، تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠.
- حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الآثرية، القاهرة، ١٩٤٦.
- حنفى محمود خطاب، الحركات الداخلية فى الدولة المملوكية الأولى، ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٤٩.
- دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس فى مصر، القاهرة ١٩٨٠.
- م.س ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، القاهرة، ١٩٤٧.
- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة ١٩٧٩.
- سعيد عاشور، العصر المماليكى، فى مصر والشام، القاهرة، ١٩٧٠.
- السيد الباز العرين، المماليك، القاهرة، ١٩٦٧.
- عبدالمنعم ماجد، طومان باى، القاهرة، ١٩٧٨.
- على ابراهيم حسن، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٦٧.
- كراسات لجنة حفظ الاثار المصرية، محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية المترجمة للعربية، بولاق، زالقاهرة، ١٨٨٢هـ، ١٩٦١.
- كمال الدين سامح، تطور القبة فى العمارة الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الثانى عشر، جـ ١، القاهرة، ١٩٥٠.
- ليلى عبدالجواد، نائب السلطنة فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصرى، العدد، ١ يناير ١٩٨٨.
- ماير الملابس المملوكية، ترجمة، صالح الشيتى، القاهرة، ١٩٧٢.
- مايسه محمود داود، المشكاوات الزجاجية فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧١.
- محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، ١٩٦٠.
- محمود محمد السيد، تاريخ القبائل العربية فى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.
- نبيل عبدالعزيز، الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٦.

## المراجع الأجنبية:

- Abd ar- Razig, Ahmad, Levizirat et lesvisirs d' Egypte au temps des Mamluks, An-

nales ISLAMOLOGIQUES, T, 1980. PP. 178 _ 232.
-M, Ahmed., La masquee d'Amr Ibnal _ as, Le Caire, 1939.
- Ayolon, Dorid, l'esclouage du Mameluk, Jerualem. 1951.
- Ayalon, Darid, studies on the structura of the Mamluks Army. Bso As, Xv12, 1953. pp. 203 - 228; xv,3, 1953, pp. 448 - 476; xvI/I, 1954, pp. 57 - 90.
- Berchem, Maxvan, Materjax pouruncorpus imscriptionum arabicarum, 1 Egypte, MI-FAO, t,19, Le Caire, 1894-1903.
- Greswell, K.A.Z, A Brief chronology of the Muhammadan Mouments of Egypte to A.D.. 1517, BIFAO, Le Caire, 1919.
- Abousief, Doris Behrens, Islamic Arehitecture in Caire, An Intro duction Caire, American University, 1989.
- Dozy, R, Supplement aux dictonnsires arobes, 2 vol, Pairs, 1966.
- Lane Pool. Stonly, the art of the sarcansin Egypt, London, 1861.
- Mayer, L.A., Saracenic Heraldry, Oxford, 1933.
- Quatremere, M, His to ire de sulcans mamlouks de l'Egypte, Paris, 1844-1845.
- Repertione chronologique d'epigrophicarobe, 1 XVI, Le Caire, 1931-1982.
- Sauvaget, Noms et surnoms de Mamelouks, J.A, CCXXVIII, 1950.
- Wiel, dean Dovid, les a epigrasphes jusqu'a L'epopque mamlouk, Cataloque generol du Musee Arabe du Caire, Le Caire, 1931.
- Wiet, G. Lampes et bout eilles en verre emaille, Cataloque general du Musee Arabe du Caire, Le Caire, 1929.